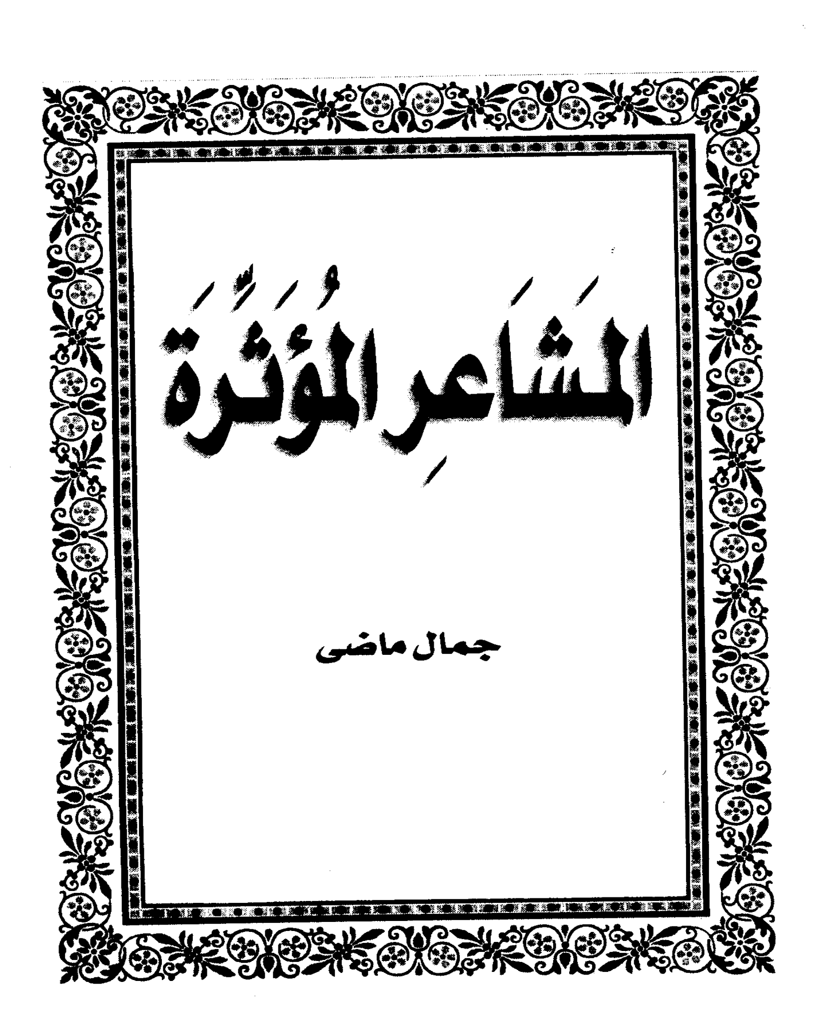


المَشَاعِرِ المُؤَثِّرَة

جمال ماضى

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بطاقة الفهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ماضى، جمال
المشاعر المؤثرة/ جمال ماضى. - ط١. - القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦
١٧٦ ص؛ ٢٠سم
تدمك ٢ ٧٣٩ ٢٦٥ ٩٧٧
١- علم النفس الفسيولوجي ٢- الإحساس
أ- العنوان
١٥٢

رقم الإيداع: ١٣٢٢٨/ ٢٠٠٦
الترقيم الدولى: I.S.B.N
977 - 265 - 739 - 2

دار التوزيع والنشر الإسلامية
مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب: ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

إهداء خاص

- هو مرهف الحس متيقظ الإحساس، ولى معه قصة مشاعر فى منحة ربانية.
- وهو من ندرته وجدته فجأة، ثم كان وداع مشاعر، ثم عدت إليه فعادت مشاعرنا من جديد.
- هو لم يكن إلا نورًا يرتدى الدم واللحم... تمتلأ الحياة من مشاعره، فكانت قيمته معى بصدقه فى الحياة.
- أهديه هذا الكتاب وقد شاركنى أفكاره من أفعاله، ومعانيه من سلوكه.
- إنه الأخ الحبيب المفضال: الأستاذ/ مرعى سالم عرار من رفح مصر.

جمال ماضى

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن والاه وبعد.

* **أخذت أبحث فى مشاعر الناس** وحركاتهم وإيماءاتهم ومشاعرهم وانفعالاتهم حتى عثرت على دراسات دقيقة لمعانى الحركات والإيماءات وما تُعبِّر عنه من مشاعر صاحبها من انفعالات مختلفة.

ولما كان الهدف من وراء هذه الأبحاث والدراسات تحقيق مصالح تجارية فى عقود صفقات البيع والشراء أو فى مجال نقل الأفكار وتكوين قناعات لدى الآخرين، فوجدت أن الإنسان الذى كرَّمه الله بالعاطفة والوجدان والمشاعر والأحاسيس، إذ بهذه الدراسات تصغِّر من شأنه، وتحقِّر من المقصد الأسمى فى أن يعيش الناس فى أمان وسلام، ويتعاملون فى حب وطمأنينة، ويحيون فى شفافية وسرور.

* وارتحلت إلى أكمل خلق الله ﷺ لأبحر فى محيط مشاعره، فالتقطت صورًا نادرة، هى جهدى القليل، وهى جزء من كل، وقليل من كثير من حياة المشاعر النبوية الكريمة، ونقلت إلى القارئ خواطرى وتأملاتى ووقفاتى أمام هذه المشاهد الشاعرية وأمام هذه الإحساسات المرئية، فأجابت فى وضوح على هذه التساؤلات: كيف تشعر بالآخرين، فتعمل على راحتهم وتدفع الأذى عنهم؟ وكيف تخاطب مشاعرهم، وتجتهد فى احترامهم وحبهم؟ وكيف تصل إلى ما فى مشاعرهم وتكتشفها؟ وكيف تكون دائمًا فى بؤرة مشاعر الناس؟

* **ثم تجولت فى بيت المشاعر**، وحاجة بيوتنا كزوجين وأبوين وأبناء وبنات وأصدقاء وأقارب، إلى خصوصيات تضاف إلى المشاعر المؤثرة فى المجتمع. ووقفت مشدوهًا أمام مشاعر الأنبياء فى كتاب الله، فمن مشاعر الأم إلى الأخت إلى الأخ إلى الأب إلى الابن، وأسميتها مشاعر قرآنية، والله -تعالى- الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور هو الذى يصف هذه المشاعر، وهى فى أرقى صور التعامل البشرى وأقوى مجالات التأثير الإنسانى.

* **ولأن الإنسان خُلق للامتحان والابتلاء** فاكتشفت فى مشاعر المحبوسين آفاق رحبة، ونماذج للتأسى، فهذا حبيس المرض أيوب، وهذا حبيس الذنب داود، وهذا حبيس الظلمات يونس، وهذا حبيس الحزن يعقوب، وهذا حبيس السجن يوسف -عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم- حيث لا يكون فى هذه الأجواء إلا التعامل بالإحساس والسلوك بالمشاعر.

* **وحاولت فى كل هذه المحطات ألا يغيب عنا الهدف من الكتاب فى أن** نحيا حياة المشاعر فى واقعنا وفى حياتنا اليومية، من أجل مجتمع شفاف متحاب نظيف متعاون، تتوفر فى جنباته نسائم السلام الاجتماعى، وترفرف فى سمائه طيور الأمان، وتنتشر فى قسماته أطياف الوئام، حيث لا تكدير لأحد، ولا أذى لجهة، وتختفى هنالك كل ما نراه من صور كريهة تخدش المشاعر وتجرح الإحساس.

* **وربما يسأل سائل**: ما الدافع الذى جعل هذه المعانى تتفتح أبوابها أمامى هكذا؟ وأهمس فى أذن سائلى الكريم: إن السر كان فى الدفعة

الأولى، ولا يعجب سائلى حينما أقول له، إن أحد أصحاب المشاعر الميتة، أو قل: المشاعر الباردة، أو قل: المشاعر الجافة... دفعنى دفعًا إلى تكملة البحث، وإلى انتهاء الدراسة، فقد أيقنت مما صنعه معى من مواقف حرجة وقاسية أن حاجتنا ماسة لمثل هذه المعانى، فكانت هذه المحاولة، وأرى أنها مازالت فى مهدها، وتحتاج إلى كل عون ومساعدة أو زيادة وفتوحات، وهو الأمر الذى لن يتحقق إلا بتحويلها أولاً إلى ممارسات وأعمال وتحقيقات فى الواقع، ثم تتضافر ثانيًا الجهود من أجل أن تكون نافعة ودافعة لنا جميعًا، وذلك بملاحظاتكم وإضافاتكم وتصويباتكم، والتى بها تزداد إشراقًا وبهاءً.

أسأل الله أن تكون فى ميزان حسناتنا، وأن يتقبل الله منا ومنكم القول والعمل، وأن يجمعنا فى جنته ورضوانه، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جمال ماضى

لماذا المشاعر المؤثرة؟

* أن تكون مثل الصندوق الزجاجى يراك الناس وتراهم فى شفافية بلا حجاب ولا حاجب ولا ساتر ولا ستار.

* أن تنفذ إلى داخل الناس فترى مشاكلهم وهمومهم، فتتألم لألمهم، وتفرح لفرحهم كالنسمة التى تسرى فتبهج فى لحظة سريانها، أو كالطيف السريع يمـر فيصنع وقت السـرور ثم يختفى ولا يخـتفى أثره فى القلب والروح.

* أن تتحد مع الناس فى إحساس واحـد كالماء الجارى، لا يستره لون أو تحجبه رائحة، ولا تُرى عناصـره، فهو ممزوج واحد يجرى بلا توقف، ويستمر بلا هوادة.

* أن يكون شعورك هو الشعور بالآخرين، فتعرف حاجاتهم، وتتعرف على رغائبـهم، وتفهم مقـاصدهم، وتتبنى وجـهات نظرهم، فلا مـجال لإساءة ظن، أو تلوين مقصد، أو تشويه فعل...

* أن يكون شعورك هو الـشعور بالآخرين، فينطلق لسـانك بكلامهم وتُعَـبِّر عـن المكنون فيـهم، وتلتـمس لهم الأعـذار عند الخطأ، وتسـعى بالمجهود عند مبادرتهم.

* أن يكون شعـورك هو الشعـور بالآخرين، فتـرجِّح حاجـتهم على حاجتك، وتقـدم مصلحتهم على مـصلحتك، وأن ترفع عنهم الأذى وإن لحق بعضه بك، وأن تؤثرهم بما تحبه الأنفس وإن حُرمت منه.

* ربما يقول البعض -ومعهم الحق-: هذه صورة وردية أو نادرة الوجود قلما نسمع عنها، ونادرًا ما نراها!! هذه مثاليات لا تنفع فى مجتمعنا أو حياتنا، ربما تكون نافعة لحياة أخرى غير التى نحياها...

مهلاً يا سائلى، فكما أن النار من مستصغر الشرر، وأن الثمار من أصاغر الثمر، وأن الجبال من صغيرات الحجر.. فلماذا لا تزرع البذرة لتكون الثمرة وتصنع اللحظة الجميلة لتكون الليلة البهيجة؟! ولماذا لا تحول النادر إلى وجود، وتغير الوجود إلى الأحسن؟! إن اقتنعت معى بهذه السنن الكونية والأشياء الطبيعية فالأمر يحتاج إلى بعض من همة وتسابق فى الأفعال، ولنا فى أوائلنا قدوة، وفى سلفنا أسوة. وقدوتنا وقدوتهم رسول الله ﷺ كان يبدأ بالتيسير؛ فما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ومن كثرة ما كان يشعر بالآخرين ظن الناس أن له عينين فى خلف رأسه ولكنه فى الحقيقة هو الشعور الشفاف الذى نفذ إلى الناس ولو لم يرهم فعلم همومهم وتعرف على حاجتهم، وكان إذا وقف بين يدى ربه ووُصل بربه لم ينس كذلك الآخرين؛ فأمر بالتخفيف، ففى الناس الضعيف، وذو الحاجة، والمريض. وقصص الإيثار بين تلامذته من الصحابة الكرام لا تحصى حتى أصبحت معلمًا كبيرًا من معالم الإسلام. عن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى -رضى الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا -فما رأيت النبى ﷺ غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ- فقال: «**يا أيها الناس، إن منكم منفِّرين،**

فأيكم أمّ الناس فليوجز؛ فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة» متفق عليه.

والسؤال الذى يجب أن يُسْأل: كيف حقق هذا الجيل الشعور بالآخرين، فأصبح سهلاً فى حياتهم وتكررت الصور الحياتية اليومية الوضيئة؟ فإذا أجبنا على ذلك كان سهلاً علينا أن نتعرف على الأسباب المعينة والعوامل الدافعة لتحقيق الشعور بالآخرين، وكذلك المعوقات التى تحول بيننا وبين تحقيق هذا المعنى، وبذلك يمكننا أن نصنع حياة هانئة رغدة، ونعيش فى جنة الدنيا قبل الآخرة.

* * *

الأسباب المعينة

أولاً: ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الشخصية:

فإن من يغلب عليه ترجيح مصلحتـه الشخصية تراه لا يرى ولا يسمع ولا يشعر بالآخرين، ولا يسعى إلا لتحـقيق مصلحته، وإن بادر بمعونة أو مساعدة أو إبداء إحـساس بالآخر فإنه إما من أجل مصلحته الشـخصية أو مرحلة لتحـقيقها، وهذا الأمر يحـتاج إلى رياضة نفسية هائلـة، وصحبة صالحة، ورفقـاء خير من أجل المجموع ومصلحـة الآخرين وإن تعارضت مع مصلحته الشخصية، أما عكس ذلك فقد يرفض أى ميزة تحقق مصلحة شخـصيـة ولكن يسأل دائمًـا: أين الناس؟ وفى موقف عمـر بن الخطاب حينما قابل أُوَيْس بن عـامر وطلب منه الاستغفار فاسـتغفر له؛ لأن النبى ﷺ قال: «**فإن استطعت أن يستـغفر لك فافعل**» قال عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قـال: ألا أكتب لك إلى عـاملها؟ قـال: أكون فى غـبراء الناس أحبّ إلىّ.

ثانياً: العمل من أجل هدف بعيد عام ويتناسى الأهداف القريبة:

التى لا يعم نفعها ومثـال ذلك: من ينظر إلى الأمور فى دائرة ضيقة، وإلى الطريق من حـارة قصيـرة، فلا يتـعمق فكره ولا يتسـع نظره، فلا يحتمل وجـهات نظر الآخرين، ويضيق صدره، ويتبـرم بسرعة، ويزاحم الآخرين وهو لا يعلم أنه يبعد عن الهـدف البعيد النافع، وكان الأولى له

استيعاب أن كل ما يصل إلى الهدف فهو عنده مقبول، وإن اصطدم ببعض الأهداف القريبة، وإن كان فيها نفع محدود، وهذا ما حدث للأنصار يوم أن جاء أبو عبيدة بمال البحرين وافوا رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فلما صلى انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، والذى يهمنا أن رؤيتهم للهدف القريب جعلتهم ينسون مع من يتعاملون فتكالبوا على المال بين يدى رسول الله ﷺ.

ثالثًا: النظرة الكلية للأمور ولا ينظر إليها بنظرة جزئية:

والقضية هنا قضية فهم، فالأولى أن يعلم أنه جزء من كل، والناس يكمل بعضهم بعضًا، فمن خلال وجهات نظر الجميع ترجح المسائل وتستقيم الأمور، والنظرة الكلية تساعد على الإحساس بالآخرين والعمل من أجلهم، أما النظرة الجزئية فقد تحقق نفعًا ولكنه محدود بإطاره فقط.

رابعًا: الارتفاع على الأنانية أو الذاتية:

بمعنى عدم رؤية ذاته فقط، فالجهود يشترك فيها الكثير، والأنانية تجعله لا يرى جهدًا إلا من طريقه، سواء كان رأيًا أبداه، أو وجهة نظر طرحها، أو جهدًا قدمه، أو مجهودًا بذله، أو خدمة أسداها، وكل ما سعى به الآخرون لا حساب له، فلولاه ما كان أمرًا من الأساس!!

خامسًا: الانتصار على الشهوة الخفية:

وهى معتمرة فى نفس الإنسان لدرجة أنه ينساها، وربما قام بدور الواعظ لغيره وهو فى الحقيقة مُدَمَّر بها، قد أكلت منه وشربت وهو لا

يدرى، وهى إما قلبية كطلب الجاه أو القيادة أو تقدم أو تأخر أو العُجب أو الحقد، وإما تكون نفسية كشهوات البطن والغريزة. . فلو بحثت عما يجعله لا يشعر بغيره فقد تجد سببًا وضيعًا من أنواع هذه الشهوات الخفية هو المحرك الدائم، والذى من أجله يعمل ويسعى ويتحرك وينشط ويطلب، وقد توافق مصلحة الآخرين وتحترم مشاعرهم أحيانًا إن توافقت مع شهوته. . والانتصار عليها هو المخرج الطبيعى بمعرفة النفس ووساوسها والتعلق بالله وحده دون اعتبار للناس أو الدنيا أو الطمع أو الهوى.

سادسًا: الهمة العالية:

وهى أعظم الوسائل المهمة المعينة على الشعور بالآخرين؛ إذ إنها الدافعة القوية نحو التنفيذ ومعاونة الآخرين والإحساس بهم وتحقيق آمالهم ودفع الأذى عنهم، فقد تبدو صور حياتية كثيرة سلبية ويرجع السبب فيها إلى سقوط الهمة وسفولها أو عدم وجودها أصلاً أو فتورها. . فالكلمة تقف فى الحلق لا تخرج وقد تكون سببًا فى نجاة إنسان أو دفع عمل أو النهوض بحال، والحركة تشل وتقف الدماء عن الجريان وقد تكون سببًا فى إنقاذ غريق أو إسداء رمق حياة أو الارتفاع بإنسان من كبوة أو سقطة أو زلة.

سابعًا: الابتعاد عن الانفعالات:

مثل الغضب والحسد والحقد، كل ذلك يصنع كثافة لا يشعر بها صاحبها عما يكون حوله، فما بالك بمشاعر الآخرين، وفى هذه اللحظات

لا يسمع ولا يفهم، عن أبى مسـعود البدرى- رضى الله عنه- قال: كنت أضرب غلامًا لى بالسوط، فـسمعت صوتًا من خلفى: **«اعلم أبا مسعود»** فلم أفهم الصـوت من الغضب، فلما دنا منى إذا هو رسـول الله ﷺ **فإذا** هو يقول: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**»، فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا، وفى رواية قلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله تعالى. رواه مسلم.

* * *

أولاً: كيف تشعر بالآخرين؟

١- اجتهدوا فى العمل على راحة الآخرين

هل أنت مستعد لأن تُسعد وتفرح حينما يستريح الآخرون، ولو كان فى ذلك تعب وألم لك؟. هل أنت على استعداد لتقدم راحة الآخرين على راحتك الشخصية سواء كان لنفسك أو أسرتك؟

إن الأمثلة أمرها يطول، وهى مكرورة فى حياتنا اليومية مع كل الدوائر التى يتعامل معها الإنسان، سواء كان فى عمله أو بيته أو الشارع أو فى وسائل المواصلات أو مع جيرانه أو أقاربه أو الناس جميعًا، مع من يعرفهم ومن لا يعرفهم، وهذه جولة مع رسول الله ﷺ لترى كيف غرس الإسلام فى نفس الفرد المسلم العمل على راحة الآخرين.

*** لا تزعجوا الآخرين:**

قد يكون الإزعاج فى صوت عالٍ أو ضجيج أو تخويف أو إيذاء فعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس**». رواه مسلم. فمشاعر الناس لا ترتاح للإزعاج من تخويفهم بالكلب أو صوت الجرس.

*** خفّفوا عن الآخرين:**

هل يستلذ الإنسان عندما يكون ثقيلاً على المريض أو السقيم؟! وهل يسعد حينما لا يراعى سن الكبير فيحمِّله مالا يطيقه؟! وهل يفرح حينما

تخور أمام عينيه قوى الضعيف ويتهاوى؟!. لقد كان منهج النبى ﷺ التخفيف حتى فى الصلاة، عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف؛ فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما يشاء**» متفق عليه.

*** لا تزاحموا الآخرين:**

قاتل الله المنازعة والمزاحمة واقتناص الفُرَص، فقد يتطلب الأمر أن تزيل الرجل من مكانه لتجلس فيه، عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا**» متفق عليه.

بل من جميل مراعاة مشاعر الآخرين أن نحتفظ للرجل بمكانه حتى يرجع إليه، عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع فهو أحق به**» رواه مسلم.

*** لا تغضبوا الآخرين:**

أعجب من هؤلاء الذين يسعدون بل ويمرحون إن أغضبوا غيرهم، سواء كان ذلك بكلمة مؤذية أو حركة مغضبة، وقد يكون ذلك عن غير قصد فما بالك إن كان متعمدًا!! عن أبى هبيرة عائذ بن عمرو المزنى - وهو فى نفر أهل بيعة الرضوان -رضى الله عنه- أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من أعداء الله مأخذها!! فقال أبو بكر -رضى الله عنه-: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها؟! فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال: «**يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم؟! إن**

كنت **أغضبتهم لقد أغضبت ربك**». فأتاهم فقال: يا أخوتاه، أأغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخى. رواه مسلم.

والمتأمل يرى أنهم لم يشكوا الأمر إلى رسول الله ﷺ، بل الذى أخبر النبى هو أبو بكر نفسه، والنبى لم يقل له أنهم غضبوا من الأمر، بل أمره بأن يتحسّس الأمر فى قوله: «**لعلك أغضبتهم؟!**» وكيف أن أبا بكر تحرك حركة سريعة إليهم خائفًا على شعورهم من أن يكون سببًا فى غضبتهم وبحث عن راحتهم وربما هم لم يدركوا هذا الأمر بدليل قولهم: لا، يغفر الله لك يا أخى.

*** لا تحرقوا الناس:**

أمن أجل راحتك أنت تحرق الناس؟!.. لا تنزعج من هذا التساؤل، فقد يبحث البعض عن راحته فى مدفأة قد تسبب حريقًا!! أو يترك نارًا قد تكون سببًا فى احراق الآخرين!! أو مثل العابث والمهمل فى مصانع مرتبطة بأرواح الناس أو المواد المشتعلة فيسبب حريقًا يلتهم القاصى والدانى!! عن أبى موسى الأشعرى -رضى الله عنه- قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فلما حُدّث رسول الله ﷺ بشأنهم قال: «**إن هذه النار عدو لكم فإذا نمتم فاطفئوها**». متفق عليه، وفى رواية ابن عمر قول النبى ﷺ: «**لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون**» متفق عليه.

*** لا تحزنوا الآخرين:**

عن ابن مسعود -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**إذ كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس؛ من أجل أن ذلك**

يحزنه» متفق عليه. فلماذا نعمل على نشر الأحزان بين الناس؟! وهل يفرح الإنسان السوى لحزن أخيه؟!

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠].

يقول ابن وهب: كان الرجل يأتى رسول الله ﷺ يسأل الحاجة ليُرى الناس أنه قد ناجى رسول الله ﷺ، وكان النبى لا يمنع من ذلك أحدًا -بل كان الأخطر من ذلك حينما يناجيه لمصلحته الشخصية أو رياء وسمعة فى وقت الحرب، فتلعب الظنون بعقول الناس- يكمل ابن وهب فيقول: والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد، وكان إبليس يأتى القوم فيقول لهم: إنما يتناجون لأمور قد حضرت وجموع قد جُمعت لكم وأشياء؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ وهذا كثيرًا ما يحدث اليوم مع رؤساء العمل، أو مديرى الأعمال، خاصة عند المشاكل والعقبات، فلماذا نجعل الشيطان يفرح بإحلال الحزن لدى الناس؟!

وفى رواية: كان المسلمون إذا رأوا المنافقون يتناجون يشق عليهم فنزلت الآية، وأيًا كان الأمر فالعمل على راحة الآخرين وغلق أبواب الحزن فى مشاعرهم مطلب جميل وواجب، والله تعالى أوضح حتى تهدأ المشاعر، بأن هذه الحركات الشيطانية وإن أحدثت الحزن فهى لا تضر أحدًا بشىء إلا بإذنه، حتى يطمئن الناس ويعيشون فى سلام.

٢- اجتهدوا فى دفع الأذى عن الآخرين

*** احذروا الكلمة المؤذية:**

الكلمة لا تؤذى الأُذن فحسب، بل إنها تجرح الشعور، وتلف الإنسان بإحساس حزين ربما أقعدته عن الحركة ومشاركة الآخرين!! فى حديث أبى ذر أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا جار عليه**» -رجع عليه- متفق عليه.

وهذا هو الحد الأقصى وينسحب ذلك على أى كلمة تؤذى الإحساس بأى صفة سيئة وإلا رجعت على قائلها، عن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- قال: استأذنت النبى ﷺ فى العمرة فأذن لى، وقال: «**لا تنسنا يا أخى من دعائك**» فقال عمر: كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا. حديث صحيح رواه أبو داود.

*** احذور الرؤية المؤذية:**

ربما السرور يدخل على قلوب الناس بمجرد رؤية وجه باسم وثغر ضاحك وإنسان بشوش، واليوم نرى أن الإنسان يمسخ نفسه بأشكال غريبة يطلقون عليها (الموضة) سواء كان فى تسريحة أو تغيير وجه أو ملبس، عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: نهى رسول الله ﷺ عن «القزع». متفق عليه، وهو حلق بعض الرأس دون البعض، وفى رواية: «**احلقوه كله أو اتركوه كله**».

*** اكرهوا شرار الناس:**

كان النبي ﷺ يعانى من شرار الناس ويحذر منهم فيقول عن أبى هريرة -رضى الله عنه-: «**تجدون الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خيار الناس فى هذا الشأن أشدهم له كراهية، وتجدون أشر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**». متفق عليه.

فمن دفع الأذى عن الناس أن يكون كارهًا لأهل الأذى الذين يتفننون فى صنائع الشر لغيرهم من الوقيعة بينهم وإصابتهم بالسوء، ومن أشر الناس ذو الوجهين الذى يمشى بين الناس ناشرًا خبثه.. ومعنى أن تكره أهل الإيذاء أن تكون -ضمنًا- بعيدًا عن الشر وصنائعه أو نشره.

*** تحملوا الضعيف وصاحب العذر:**

الضعيف ما ذنبه أمام سطوة الأقوياء؟! ومن ذا الذى يقف إلى جواره وينهض به؟! إن ايذاءه يكمن فى عدم الاعتبار له وإهماله أو معاملته كما يعامل الأقوياء، فإذا به ينهار أو يترك العمل ويعتزل الناس.. عن جابر -رضى الله عنه- كان رسول الله ﷺ يتخلف فى المسير فيزجى الضعيف ويُرْدف ويدعو له» رواه أبو داود بإسناد حسن.

فأى مشاعر للضعيف حينما يرى هذا الاهتمام وهذه الرعاية!! بل إن كثيرًا من الناس يعاملون غيرهم بمقياس واحد دون مراعاة لصاحب الحاجة أو العذر، والإسلام ما شادَّه أحد إلا غلبه، فالدين يسر، ولأصحاب الأعذار رخص حددها العلماء بأشكال مختلفة وذلك حتى يعيش الجميع

دون حرج، فالكل سواء فلا يُلام ضعيف أو يُعاتب ذو الحاجة أو نضعف من قدر ومنزلة صاحب عذر رخّص الدين له عذره. عن أنس -رضى الله عنه- قال: «رخَّص رسول الله ﷺ للزبير وعبد الرحمن بن عوف -رضى الله عنهما- فى لبس الحرير لِحِكّةٍ بهما». متفق عليه.

*** احذروا الانتقام لأنفسكم:**

كم حجبت النفس والانتقام لها رؤية مشاعر الآخرين أو الإحساس بهم أوسماع نداء شعورهم من ألم أو فرح أو حزن أو ضيق أو سعة سواء بسواء. فيبادرون بالإيذاء دون سبب، بل ويستلذون بالآلام دون مبرر، وإن اختاروا للناس يختارون لهم الأصعب والأعسر، ولا سبب وراء ذلك كله إلا الانتقام لأنفسهم، ولو وفّروا هذه الشحنة حينما يرون انتهاكًا لحرمات الله لكان خيرًا للناس ورفعة لأنفسهم. عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى». متفق عليه.

*** لا تروِّعوا الآمنين:**

* لماذا نُخيف الناس؟! ونفرح بمشاعر الفزع على وجوههم وفى حياتهم؟! فى رواية لمسلم قال: قال أبو القاسم ﷺ: **«من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع وإن كان أخاه لأبيه وأمه»**. ونهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً، وعن أبى هريرة قال عن رسول الله ﷺ: **«لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح»**. متفق عليه.

* ومن أعظم حالات ترويع الآمنين تعذيبهم، عن هشام بن حكيم بن حزام -رضى الله عنهما- أنه مـر بالشام على أناس من الأنباط -الفلاحين من العجم- وقد أقيمـوا فى الشمس وصب على رءوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون فى الجزية -وفى رواية الخـراج- فقال هشام: أشهد أنى سمعـت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يعذب الذين يعـذبون الناس فى الدنيا**» فدخل على الأمير فحدثه فأمر بهم فخلُّوا رواه مسلم.

٣- اجتهدوا فى مخاطبة مشاعر الآخرين

*** لغة المشاعر:**

الإحساس بالآخرين ينبع من إحساس مرهف وشعور شفاف، والنجاح فى وصوله للناس فى فن التـعبير عنه، وهو أمر يرفض التـكليف ويمقته، فلابد أن يكون الإنسـان على سجيته، ويعـبر بالطريقة الصـادقة المخلصة والتى سرعان ما تؤثر تأثيـرًا بالغًا فى الناس.. ربما يكون ذلك فى كلمة، أو دمعـة، أو حركـة، أو همسـة، أو إيماءة، وهى تحتاج دومًـا إلى يقظة القلب حتى أنه لا يعرف النوم وإن غفلت العين.. عن عائشة -رضى الله عنها- يقول النبى ﷺ: «**إن عينىّ تنامان ولا ينام قلبى**». متفق عليه.

وهو أمر ميسور إن هيَّأ كل منا قلبـه ونفسه وعقله وروحه وهو يتعامل مع الناس، فليس الأمر فى وجود الشعور بل فى التعبير عنه بالطريقة التى تؤثر، وبالطبيعة والسجية التى عليها الإنسان دون تشدُّق أو تكلف أوتنطُّع فكل ذلك من مدمرات المشاعر وناسفات الشعور.

*** لا تكبتوا مشاعركم:**

إذا حزن القلب فى موطن ألم فخرجت دمعة هى عصارة الإحساس بالآخر، لماذا تقتلها فتُحرم من لحظات رحمة ربما تكون سببًا فى نظرة الله بالرحمات، والسكينة والاطمئنان والأمان؟!

* إذا فرح القلب فى مشهد سرور فانطلقت بسمة ترسلها الأسارير المنفرجة تحوطها بشاشة ساحرة.. لماذا نحكم عليها بالإعدام وما جريمتها وهى تدخل السرور على الآخرين والبهجة فى الزمان؟! عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ عاد -زاره وهو مريض- سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود -رضى الله عنهم- فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله بكوا، فقال: «**ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم** -وأشار إلى لسانه-». متفق عليه.

فلغة الصادقين بمشاعرهم ولغة غيرهم بلسانهم.. وما الذى يجنيه اللسان من كلمات معسولة وأشعار موزونة وهى بمنأى عن المشاعر، فهى تعبير مظلم مكسوف يثير البغضاء بين الناس، ويعرِّض صاحبه لعذاب الله إن لم يكن من الصادقين.

* عن أسامة بن زيد -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «**هذه رحمة جعلها الله -تعالى- فى قلب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**». متفق عليه.

*** خاطبوا المشاعر:**

نعم، إن كـان للمـشـاعـر لغـة فـلابد أن يكون لهـا خـطابًا، ويعنى بالخطاب: مراعـاة الحال والمكان والزمان والثـقافة والمسـتوى الاجتـماعى وعقول الآخرين وأفهامهم وأعمارهم وهذه جولة مع رسول الله ﷺ كيف كان يخـاطب مشـاعر الناس، وأترك القارئ الحـبيب فى التـقاط الدروس مثلما يلتقط الياقوت من الدر.

*** مراعاة الحال والزمان:**

عن المقـداد -رضى الله عنه- فى حـديثه الطويل الذى رواه الإمـام مسلم فى صحيحه- قال: كنا نرفع للنبى ﷺ نصيبه من اللبن، فيجىء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان، فجاء النبى ﷺ فسلَّم كما يُسلم. «**فيجئ من الليل**» فنصيبه مقسوم له، علام إذن نزاحم الآخرين فتتأذى المشاعر فى زحـمة النهار؟! فمع هدوء الليل ونسمات الصمت، دون صراع أو مباراة يأتى مراعيًا الوقت وحال الناس «**فيسلم تسليمًا**»، إن أقسى ما تصاب به المشـاعر عدم مسها بلمـسات حانية، وفتح مغاليقها بنداءات ساحرة، لخصها النبى ﷺ «بالسلام» أما صورته فهى مخـاطبة موجهة للمـشاعر، محقـقة لهدفنا «**خاطبوا المشاعر**» لا يوقظ نائمًا بل لا يشعـر به أصلاً لأنه غير مخـاطب، ويسمع اليقظان المنتظر مجىء رسول الله ﷺ.. عليك أفضل الصلاة والتسليم يا قدوة الأمة.

* مراعاة المستوى الثقافى:

عن أبى رفاعة تميم بن أسيد -رضى الله عنه- قال: «انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه؟ فأقبل علىّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلىّ فأتى بكرسى فقعد عليه وجعل يعلمنى مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها». متفق عليه.

فمستوى الرجل الغريب لا يعرف شيئًا عن الدين، وبالتالى فهو لا يدرك قيمة الخطبة التى يلقيها رسول الله ﷺ، وما تنفعه كلماتها وهو لا يدرى عن دينه شيئا؟ فلم يصدّه النبى ﷺ أو أمر أحدًا من الجالسين بتعليمه بعيدًا عن الخطبة، أو أمره بالانتظار لحين انتهاء كلمته؟ بل راعى مستواه؛ فهو غريب، ثم لا يدرى عن دينه شيئًا، فترك خطبته وجلس إلى الرجل يعلمه، فأى مشاعر حميمة كانت لدى الغريب؟! وهل سينسى لرسول الله ﷺ هذا الموقف؟ وما خسر النبى شيئًا فرجع إلى خطبته فأتم آخرها فتعليم الرجل لم يؤثّر على الخطبة أو أفكارها، فالناس جلوس والخطبة قائمة والغريب تعلّم وبقى لنا الدرس النبوى فى مراعاة مستويات وعقول وأفهام وثقافة الآخرين حتى لا نفاجئ مشاعرهم بصور عكسية سلبية تظل محفورة فى أذهانهم لا تنسى.

* مراعاة الحالات الانفعالية:

فى وقت الانفعالات يتغير الإنسان فى كل شىء وثمرة هذا قد تكون فى كلمة أو موقف أو حركة أو إيماءة وكلها تنبعث من منبع واحد،

وتؤدى إلى طريقة واحدة، وبما أن المشاعر جـزء لا ينفك من الإنسان فإنها تكون كـذلك فى أوج نشاطهـا، ولذلك فمـخاطبـتهـا أولى من أى وقت لتأثرها، والجو الانفعـالى الإيجابى جو ساحر مؤثر، تختلط فـيه الدمعات بالحب والصدق والأحضان والاعتذارات مع الفـرح والبهجة والسرور، قد يعتب على موقف لك كثير من الناس، فهل تتركهم لأنهم يستحقون ذلك؟ أم تتركهم؟ للتجـربة حتى يتعلموا شيئًـا ما فى حياتهم؟ أم . . أم . . المهم هل تتركهم أم تخـاطب مشاعرهم وتحولهـا إلى إيجابية التغيـير والصواب سواء كـان الأمر لك أو عليك؟! وإن الأمـر لا يخرج عن اثنـين إما أنت المخطئ أو هم المخطئون، وفى كل من الأمـرين تحتاج إلى شجـاعة موقف وإظهار للحقائق وتبيين للنيات الصادقة فى شفافية رائقة . . وفى جولتنا مع رسـول الله ﷺ نشاهد قـواعد راعـاها النبى ﷺ وهو يخـاطب المشاعـر المنفعلة؛ فعن عمرو بن تغلب -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ أتى بمال أو سبى فقـسمه فأعطى رجـالاً، وترك رجالاً، فبلغه أن الذين ترك عَـتَبوا فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال: «أما بعد . . فوالله إنى لأعطى الرجل وأدع الرجل، والذى أدع أحبُ إلىّ من الذى أعطى، ولكنى إنما أعطى أقوامًا لما أرى فى قلوبهم من الجـزع والهلـع، وأكِلُ أقوامًـا إلى مـا جـعل الله فى قلوبهم من الغنى والخـير منهم عـمرو بن تغلب. قـال عمـرو بن تغلب: (فوالله ما أحب أن لى بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم). البخارى.

فأى مشاعـر حميمة طردت هذه المشاعر المنفـعلة لدى عمرو بن تغلب وهو يعتب على رسول الله ﷺ بهذه الكلمة التى خاطبت مشاعره ونفذت

فى إحساسه حتى إنه يقول: فوالله ما أحب أن لى بكلمة رسول ﷺ حمر النعم.

* وهذا الأعرابى الذى جاء فبال فى المسجد، كاد المصلون أن يفتكوا به فجاءت كلمات النبى ﷺ وهى تخاطب مشاعره بعد أن فرّق الناس من حوله: «يا أخا العرب، إن هذه الأماكن -لأن الأعرابى لم يعرف بعد أن هذا مسجدًا وما معنى المسجد لدى المسلمين - لم تعدّ لما فعلت - ولم يُحقر ما فعل - وأمر المصلين بإراقة الماء على بوله وتنظيف المكان، والمشاعر لدى الأعرابى تتأجج بين انفعالية لرد المعتدين ثم تهدأ برقة ولباقة النبى ﷺ ثم يأتى الخطاب النبوى لمشاعر الرجل والذى لمس الإحساس فنطق قائلاً: اللهم ارحمنى وارحم محمدًا ولا ترحم معنا أحدًا.

* وتحكى السيرة عن الأنصار حينما غضبوا منفعلين لأن النبى أعطى المهاجرين دون الأنصار، فجاء سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فأبلغه مقالتهم وموجدتهم فقال: «**أين أنت من ذلك يا سعد؟**» قال يا رسول الله ما أنا إلا من قومى.. فالأمر إذن قد تفشى فى الأنصار جميعًا؛ فجمعهم النبى ﷺ وكان خطابًا للمشاعر طويلاً وفى آخره: «**ماذا لو ذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وذهبتم أنتم إلى رحالكم برسول الله؟! اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**» فبكوا جميعًا حتى أخضلوا لحاهم قائلين: «رضينا برسول الله ﷺ قسمًا».

كثير من الناس يهربون من مواجهة المشاعر المنفعلة، وهذا الهروب يحفر فى المشاعر مطبات لا تزول، ويزرع كرهًا فى النفوس لا يمحى مع

الأيام، بل يقـوى ويزداد، وكـمـا فـعل النبى ﷺ فـكانت أول خطوة فى شجاعة المواجـهة وعدم الهروب، ثم الخطوة الثانية بإظهـار الحقائق التى قد تكون خفية عن البعض، ثم تأتى الخطوة الثـالثة بإظهار النيات الصادقة فى شفـافية، ثم تأتى الخطوة الرابعة فـى مخاطبة المشـاعر مباشـرة وترك اللغة تتحدث فى حرية ولا نكبت أى ثمـرة لهذا الخطاب من: اعتذار أو بكاء أو فرح أو عناق، وبذلك تتحول الانفعالات إلى مواقف إيجابية، ويزداد الحب بين الناس، وتستـمر مسيرة الحـياة بلا توقف أو توتر أو اضطراب، ويكفى على المستوى الفردى أن يعيش الإنسان فى اطمئنان وأمن وسكون وأمان.

٤- اجتهدوا فى احترام الآخرين

*** احترام المبدأ لا الشخص:**

إن مشـاعر الآخرين قـد تصاب فى مقتل إن تـخلى الناس عن المبادئ وحكمتهم شريعة الغاب، وأصـبح النفاق والتملق والمصلحة والمحاباة وما يقـدم وما يؤخر ومـا يرفع وما يـسقط مكان المبـادئ والثوابت، فـتتـجه الاحترامات إلى غـير محلها، وتتوجه التحـيات إلى ضدها، ونرى صوراً معكوسة باهتة تحزن المشاعر، وتفكك الأواصر بين المجتمع.

والقضية فى يـسر شديد أن احترام المبدأ مقـدم أولاً، ولا يؤثر البتة على احترام الأشخاص، بل إن الشخص يزيد من تقديرك وإكرامك ويرتفع شأنك عنده إجلالاً وتعظيمًا وحـباً، عن أنس -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ أتى بلبن قد شيب بماء، وعن يمينه أعـرابى، وعن يساره أبو بكر، فشرب ثم أعطى الأعرابى وقال: «**الأيمن فالأيمن**». متـفق عليه، وتكرر المشهد نفـسه

وكان عن يمين النبى ﷺ غلام فقال النبى ﷺ: «**إن شئت نعطى الكبار أولاً**» -وكان عن يساره رجال- فلم يأذن الغلام وهو حـر فى قراره ومبرره، فنفذ النبى رغبة الغلام، ولم يؤثر ذلك على احترامه للاخرين.

*** من الاحترام الاستجابة لمشاعر الآخرين:**

الهدية بأنواعها المختلفة هى رسالة للإحساس قبل أن يستلمها الإنسان، فالوردة أو الطيب أو التحـفة أو الأكلة أو الملبس أو القلم أو الحلوى أو. . أو . . أو . . . وأنواعها اليوم فى مـحلات الهدايا أشكال وأنواع، يسّرت الكثير على الناس من ولادة الطفل، إلى المناسبات الحـياتية المختلفة، حتى الوفاة. . بإعداد الطعام لأهل البيت.

فمـن احترامك لـلآخرين أن تسـتجيب لمـشاعرهم بـقبول الهـدية أو الترحيب وشكرهم على ذلك، سواء كان برسـالة أو برقية أو بالتليفون أو المقابلة وهو مـا يوفر جواً ساحـرًا بين الناس كأنهم أطيار فى حـديقة، أو أطياف فى بستان، أو أريج ينعش الأرواح.

* عن أنس بن مـــالك -رضى الله عنه- أن النبـى ﷺ «كـان لا يردُّ الطيب». رواه البخارى.

* عن أبى هريرة -رضى الله عنـه- قال: قـال رسـول الله ﷺ: «**من عُرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح**». رواه مسلم.

* فى مشـهد حفـاوة بنات بنى النجار برسـول الله ﷺ حينمـا جاءته الولائد منهن ينشدن:

نحن جـوار من بـنى النجـار   يا حـبـذا محـمـد من جـار

فخرج إليهـن رسول الله ﷺ فقال: **أتحبننى؟** قلن: نعم، فقال: **«والله يعلم أن قلبى يحبكن»**. رواه ابن ماجة فى السنن.

وفى هذا الموقف يتـضح كـيف يكون التـجـاوب الشعـورى الفـورى والمناسب. وهذه الاستجابة السريعة للبنات المرحبات برسول الله ﷺ.

*** من الاحترام الاستئذان:**

* هناك بعض الألفاظ لا تكلف الإنسـان شيئًا ولكنها تـتطلب شعورًا مرهفًا وإحساسًا شفافًا، مثل (لو سمحت) (بعد إذن حضرتك) (هل يمكن أن تأذن لى) (فى أى وقت تحب أن آتيك) ومـا شابه ذلك.. ويكون لـهـا أثر السحر فى مشـاعر الآخرين، أعرف أستاذًا كلمـا ودّع أحدًا كان يقول له: (تأمرنى بإيه يا أخى) فكانت تجديدًا للمشاعر تظل محفورة حتى يلقاه مودّعوه مرة أخرى.

جاء رجل قـائلاً للنبى ﷺ: **«وددت أنك تأتى فتصلـى فى بيتى مكانًا اتخذه مصلى فقال ﷺ: سأفعل، فغدا عليه رسول الله ﷺ وأبو بكر بعد ما اشتد النهار، واستـأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى قال: «أين تحب أن يُصلىّ فيه» فأشار له إلى المكان الذى يحب أن يصلى فيه فقام** رسول الله ﷺ فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين». متفق عليه.

* بعض الأحفـال والموائد اليوم تكون بالدعوات لأسـباب متـعددة مما تسبب إحراجًا شديدًا إذا جاء إنسان بدون دعوة سواء كان من أفراد الأسرة

أو الأقارب أو الأصدقاء أو الجيـران، والحل في ذلك يسير جداً. . إنه فى استئذان المشـاعر، فى استئذان صاحب الشأن حـتى يرتب أمره من ناحية ومن أخرى لا يجرح شـعور المدعو، والجمـيل فى الاستئذان أن صـاحبه يوطن نفسـه على القبول أو الرفـض، على الإذن له أو الرجوع، دون أثر سلبى فى مشـاعره، والجمـيع يلتمس الأعـذار والمبررات لذلك، عن أبى مسعود البدرى -رضى الله عنه- قال: دعا رجل النبى ﷺ لطعام صنعه له خامس خـمسة، فتـبعهم رجل، فلما بلغ البـاب قال النبى ﷺ: «**إن هذا تبعنا فإن شـئت أن تأذن له وإن شئت رجع**»، قال: بل آذن له يا رسول الله. متفق عليه.

الأمر الأول: لعلم النبى ﷺ أنهـا بالدعـوات وهو خامس خـمسـة، «سكت حتى بـلغ الباب» **أولاً**: لعدم إحـراج الرجل، **ثانيًا**: ربما يأذن له صاحب الدعوة.

الأمر الثانى: قد يسكت بعضنا ظناً منه أنه يسبب حرجًا للناس والنتيجة تكون أسوأ مما نتـوقع، فلماذا نصنع الأسـوأ، وفى أيدينا إرضاء المشـاعر بلمسة الاستئذان، وهى أمر شرعى ولا حرج فى الدين، ولذلك كان بيان الموقف من النبى ﷺ أن الرجل لم يُدعى ولم يوجه أحد له الدعوة، فقال ﷺ : «**إن هذا تبعنا**» وبعدها كانت اللمسة الساحرة الجميلة: **فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع**. . لو كنا مكان الرجل وقد امتلأت مـشاعرنا بهذا السحر لضحكنا وقلنا: بل نأذن له يا رسول الله

٥- اجتهدوا في التعرف على الآخرين

ونعنى بالمعرفة معرفتك بالناس، أسمائهم وأنسابهم وطبائعهم وشهرتهم، والمشهور عنهم، وأماكنهم وبلدانهم، كل ذلك يعينك على التأثير فى مشاعرهم، وهذا يوجب عليك التعرف الدائم على الآخرين، فمن الحكمة أن يتعرف الإنسان على كل من يلقاه سواء كانت له به سابق معرفة أولا.. وكذلك من أين هو؟ وعائلته؟ وهذا ما فعله النبى ﷺ مع عدَّاس النصرانى فى نهاية يوم ثقيف الدامى حينما أغرت ثقيف سفهاءها وغلمانها بإلقاء الحجارة على رسول الله ﷺ وهو النبى الذى يدعوهم إلى نجاتهم وفلاحهم.. فكم أثَّر ذلك فى مشاعر عداس حينما سأله النبى **«من أين»**؟ قال: من نينوى قال: **«من بلد أخى الصالح يونس بن متى»**.

* عن أنس -رضى الله عنه- قال: لما جاء أهل اليمن قال رسول الله ﷺ: **«قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة»**. رواه أبو داود بإسناد حسن.

أى ابتهاج فى مشاعر الآخرين حينما تفاجئهم وتبادرهم بما هو مشهور ومعروف عنهم خاصة إذا كانوا أول من عُرفوا بهذه الصفات أو العادات أو الأعمال.. فأى فرحة لأهل اليمن والصحابة يصافحونهم والنبى ﷺ يمدحهم بأنهم أول من جاء بالمصافحة؟!

* فى يومنا يدخل كل منا فى معاملة الدوائر المحيطة بنا من الأقارب والجيران وزملاء العمل والأصدقاء والزوجة والأولاد.. فكيف نقرأ ما

بمشاعر الآخرين بمجرد التعامل معهم ونعرف أسئلتهم قبل أن يطرحوها علينا أو حاجاتهم ورغباتهم قبل أن يفصحوا عنها؟!

ذلك كله لا يتم إلا بالمعرفة الكاملة والامتزاج التام معهم.

عن وابصة بن معبد -رضى الله عنه- قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «**جئت تسأل عن البر؟**» قلت: نعم فقال: «**استفت قلبك..**» حديث حسن رواه أحمد.

فمعرفة النبى ﷺ لوابصة أصبح صفحة مفتوحة قرأها النبى ﷺ حتى إنه توقع سؤاله فقال له ﷺ: «**جئت تسأل عن البر؟**» قلت: نعم.

* وحينما يكون النبى ﷺ جائعًا، يعلم الصحابى ذلك، لمعرفته اللصيقة به ﷺ، فيترجم مشاعر النبى من صوته، فيهرع لإعداد الطعام، وهذا ما حدث مع أبى طلحة، عن أنس -رضى الله عنه- قال: قال أبو طلحة لأم سُليم: قد سمعت صوت النبى ﷺ ضعيفًا أعرف منه الجوع، فهل عِندَكِ من شىء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخذت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسّته تحت ثوبى وردّتنى ببعضه ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ، فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا فى المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم فقال لى رسول الله ﷺ: «**أرسلك أبو طلحة؟**» فقلت: نعم فقال: «**الطعام؟**»، فقلت: نعم يا رسول الله، فقال ﷺ: «**قوموا**» فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم!! فقالت: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله

ﷺ: «**هلمى ما عندك يا أم سليم**». يقول الراوى فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك بثمانين رجل، ثم أكل النبى ﷺ بعد ذلك، وفى رواية: ثم أفضلوا ما بلغوا جيرانهم. متفق عليه.

ليس الأمر الذى نبحث عنه فى هذا الحديث معجزة النبى ﷺ فى أن يأكل الثمانون رجلاً ويزيد الطعام ولكننا أمام معرفة النبى بأبى طلحة من بين العشرات من الجالسين بين يديه ﷺ فانطلق بشعوره لإعداد الطعام، وعندما أتى به أنس كان قول النبى ﷺ من أول وهلة: «**أرسلك أبو طلحة؟**» قلت: نعم. فقال ﷺ: «**الطعام؟**» فقلت: نعم. فقال: «**قوموا**».. نعم يستحق أبو طلحة لهذا الموقف الشعورى أن يشهد بيته معجزة لرسول الله ﷺ تحكى موقفه إلى يوم الدين، ومن ناحية أخرى تؤكد على أهمية المعاملة بالمشاعر الحيّة المؤثرة فى المجتمع المسلم.

* المعرفة بالحال مهمة جدًا فى تقدير المواقف حتى لو لم تحقق هدفًا قريبًا، فأنت تحوذ المشاعر قبل المواقف، وهى التى تدفع الإنسان إلى اتخاذ أعظم وأجل وأحلى وأروع المواقف، وهذا ما حدث بالفعل لرجل جاء إلى رسول الله مستخفيًا من قومه، فتلطف حتى دخل مكة على رسول الله ﷺ فى بداية الدعوة وقال: إنى متبعك قال له النبى: إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالى وحال الناس؟! لكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى؛ فجعل الرجل يتسمع الأخبار حتى قدم النبى ﷺ المدينة، فذهب إلى المدينة ودخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول

الله، أتعرفنى؟ قال: «**نعم أنت الذى لقيتنى بمكة**»، فقال الرجل: يا رسول الله، أخبرنى عما علَّمك الله وأجهله، فعلمه النبى عن الصلاة وعن الوضوء.. رواه مسلم.

وتظهر هنا الإشراقة النبوية وهى موضوع بحثنا، فبعد مرور أعوام لم ينس رسول ﷺ الرجل، وهذا ما بادره به الرجل: يا رسول الله، أتعرفنى؟ قال ﷺ: «**نعم أنت الذى لقيتنى بمكة**».. فما الذى يخسره بعضنا إذا وضع من تخطيط يومه أن يتعرف على إنسان جديد؟! وما أعظم أن يكون ديدنه التعرف على من يلقاه، سواء رآه من قبل أو لم يره قط، فكم يكون الموقف الشعورى مؤثرا حينما يكون لقاء ولو بعد حين.

٦- اجتهدوا فى حب الآخرين

يقول الرافعى فى كتابه (وحى القلم)، الجزء الثانى: «ومتى استنار القلب كان حيّاً فى صاحبه، وكان حيّاً فى الوجود كله، ومتى سلمت الحياة من تعقيد الخيال الفاسد لم يكن بين الإنسان وبين الله إلا حياة هى الحق والخير، ولم يكن بينه وبين الناس إلا حياة هى الرحمة والحب». فإذا اجتهدنا فى أن يسبق النور من القلب المستنير كلامنا وحركاتنا وصمتنا وفكرنا وتعبيرنا نفذنا إلى مشاعر الآخرين بلا استئذان، وهى حياة الحب، هى جنة الدنيا وروضة الوجود وبستان الحياة وريحانة الزمان، كلها أمل وبشرى للناس، وخوف وألم عليهم، وتنمية ونهضة بهم، إنها لغة خاصة يفهمونها دون غيرهم بالإشارة والعناق والتقبيل والمصافحة.

*** أمل وبشرى للناس:**

لماذا لا نكون مصابيح تنير طريق الناس؟ نحمل لهم الأمل الدافع، ونبادر دومًا معهم بالبشريات؟ ونكون من أدوات الحلول لمشاكلهم؟ بل نتبارى ونتسابق بالأخبار السارة والبشرى بانزواء الهموم عنهم، لن ينسوها لنا، ولا تزول من مشاعرهم، وفى حياتنا الكثير من هؤلاء، ما زلنا نرى وجوهم المبتسمة بالبشرى، وكلامهم الممزوج بالأمل، فى قصة كعب بن مالك الذى كان من الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك وبعد خمسين يومًا من مقاطعته تسابق الصحابة أيهم يبشره بتوبة الله عليه أولاً. ومازال يتذكر كعب المبادر منهم له بالبشرى، فلما دخل كعب علي رسول الله ﷺ وهو جالس فى مسجده وسلم عليه كان وجهه ﷺ يبرق من السرور يقول لكعب: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**».

*** خوف وألم على الناس:**

ما أبلغ التأثير فى مشاعر الناس حينما يرون منك صدق الخوف عليهم ويرون فيك ألمهم، تأثرت مشاعر أبى بكر فى الغار فبكى خوفًا على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدميه لرآنا، فقال ﷺ: **ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**. وفى بدر كان فى يده ﷺ قدح يعدل به القوم فمرَّ بأحدهم يدعى سواد بن غزية وقد خرج قليلاً من صفه فطعنه طعنًا خفيفًا فى بطنه وقال: **استو يا سواد**، فقال: أوجعتنى يا رسول الله وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى- أى: مكننى من القصاص منك فكشف ﷺ عن بطنه وقال: **استقد** -أى: اقتص- فاعتنقه سواد، وقبَّل

بطنه ﷺ فقال: **ما حملك على هذا؟** قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له النبى ﷺ بخير.

الموقف الأول: عندما سمع النبى ﷺ كلمة سواد: أوجعتنى، كأن النبى ﷺ وقد تألم لألم سواد فكشف عن بطنه وقال: **استقد**.

الموقف الثانى: عناق سواد وتقبيله بطن النبى ﷺ وهو أمرغريب غير مألوف، ولكنه كان بالغ التأثير فى رسول الله ﷺ فدعا له بخير.

*** نماء ونهوض بالناس:**

* النهوض بمن يحمل لك مشاعر الكراهية والبغض وتحويلها إلى مشاعر الحب أمر جميل، وفى الوقت نفسه يحتاج إلى فن فى مخاطبة هذه المشاعر، وربما خطابها المباشر يكون فى الوصل إذا أرادوا القطيعة، فى العطايا إذا أرادوا الحرمان، فى الزيادة إذا أرادوا النقصان، فى الخير الممتد لهم إذا وجهوا إليك سهام الشر، وهذا ما يجعل الواحد منهم يسأل نفسه بعد أن يستشعر ما يفعله من قبائح.. إلى متى ولم أجد إلا خيرًا منه؟!

انظر إلى رسول الله ﷺ بعد فتح مكة، وعند تقسيم الغنائم، يقول صفوان بن أمية بن خلف وقد حضر المعركة وهو مشرك: (والله لقد أعطانى رسول الله ﷺ ما أعطانى وإنه لأبغض الناس إلى، فما برح يعطينى حتى أنه لأحب الناس إلىّ). رواه مسلم.

* قد يتدخل الكثير من أشرار الناس من أجل القطيعة وإثارة الفرقة بين المشاعر، فيفسرون لك الأمور على غير طبيعتها، وإن لم نصدقهم فى

ذلك فعلى الأقل فمـشاعرنا تصاب بالإحبـاط والقلق، وإن لم نتبين الأمر تدفعنا مشاعرنا إلى أفعال سلبـية أو أعمال غير لائقة أو سلوك مشين نندم عليه بعد فترة وجيزة.

والحل فى مـثل هذه القضـايا أن نسـرع في تبيِّن الأمـر وإيضاحـه من صـاحـبه وليس عـن طريق وسيـط، هنالك يكون أبلغ رد على الأشـرار والنهوض بمشـاعرنا المحبطة، والرد على شـبهات الأشرار يكون بالتـقدير والاحترام وبيـان المنزلة الرفيعة لمن نالوه بشـرهم، فى ذهننا وعقلنا، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع على بن أبى طالب، فقد خرج رسول الله ﷺ فى ثلاثين ألفًا من المدينة، واستخلف عليهـا محمد بن سلمة الأنصارى، واستخلف على بن أبى طالب على أهله، فتكلم المنافـقون فيه وقالوا: أما تركه إلا استـثقالاً له، فخرج على فلحق بـرسول الله ﷺ عند ثنية الوداع فقال وهو يبكى: أتخلفنى مع النساء والصـبيان؟! فقال ﷺ: «**أما ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى؟!**» رواه البخارى.

الوقفة الأولى: استيلاء مشـاعر الإحباط على علىٍّ بن أبى طالب والتى وصلت إلى ذروتها حينما وصل إلى ثنيـة الوداع (وهو يبكى) فالبكاء عبّر عن حالته التى أثارتها أقوال المنافقين.

الوقفة الثانية: عدم الاستـجابة بفعل أو عمل من شأنـه يكون تصديقًا لأقوال المنافقين دون تبين الأمر من رسول الله ﷺ مباشرة: (فخرج على) فلحق بـرسـول الله ﷺ عند ثنيـة الوداع (أى: خـارج المدينـة) يقـول: أتخلفنى مع النساء والصبيان؟ فلم يكبت مشاعره القلقة.

الوقفة الثالثة: علاج النبى الجميل بنهضة المشاعر من كبوتها وتحويلها إلى حل إيجابى ببيان منزلة على بن أبى طالب، وعلو قدره واحترامه وتقدير النبى ﷺ له، وهو الأمر الذى لا يتلائم بحال من الأحوال مع قول المنافقين: أما تركه إلا استثقالاً له... صلى الله عليك يا رسول الله، وكرَّم الله وجهك ورضى الله عنك يا أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

*** عند المكافأة أو العقاب:**

نعم، حتى عند المكافأة أو العقاب، نخاطب المشاعر أولاً، أليس الجزاء بشقيه: عقابًا أو مكافأة إلا لدفع الناس إلى المزيد، ولن يتحقق هذا الهدف إلا حينما تؤثِّر أولاً فى مشاعرهم بالإيجابية فتدفعهم وتحفزهم إلى الانطلاق وتفجير الطاقات.

* عن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال النبى ﷺ: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعو له حتى تروا أنكم قد كافئتموه**». حديث صحيح رواه أبو داود.

والذى يتضح من الحديث فى موضوع المشاعر قوله ﷺ: «**حتى تروا أنكم قد كافئتموه**» فهذا هو الهدف، هذا هو السهم الموجه إلى المشاعر حتى تتأكدوا أنكم أثَّرتم فى مشاعره، فقد تكافئ الناس ولا تؤثر فى مشاعرهم، فينقلب التعامل إلى شكل أو رسم أو مظهر دون معنى ودون أثر!!.

* أما فى حال عقاب الآخرين إن لم يكن نظرنا إلى مشاعرهم فقد فقدنا أثر العقاب أولاً، ثم صنعنا خيالاً مريضًا فى مشاعر سيئة تؤدى إلى

أسوأ الأعمـال وأقبـح الأفـعـال، وتأمل معى هذا المشهد عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قـال: أُتى النبى ﷺ بـرجل قـد شرب خـمـرًا قـال: «**اضربوه**» قال أبو هريرة فمنا الضارب بـيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه -أى: تأديبًا وعقوبة- فلمـا انصرف الرجل قال بعض القوم: أخزاك الله، قال ﷺ: «**لا تقولوا هذا، لا تعينوا عليه الشيطان**». رواه البخارى.

لقد تم العـقاب، وهو إيذاء للبـدن، فلماذا نؤذى المشاعـر؟! وهذا ما نهى عنه رسـول الله ﷺ «**لا تقـولوا هذا**» وأوضح السـبب فى ذلك: «**لا تعـينوا عليه الشـيطان**»، إن المشـاعر حـينما تُؤذى تكون ثغـرة ينفذ منـها الشيطان فيـقنعه بأفكار متدنيـة تجعله يأتى أفعالاً انتـقامية أو فـيها غلو أو تطرف أو يتحـرك بعداء لعـامة الناس والمجتـمع وذلك تمامًا مـثل تعذيب الناس بعضهم بعضًا، عندما يتـحول من البدن إلى المشاعر، كالمدرس مع طلابه، أو صاحب العـمل مع العاملين، أو الضـابط مع المتهم، أو المدير مع مرؤسيه، أو حـتى الآباء مع أبنائهم، ومن ثم **نهى النبى ﷺ فى** حال الضرب أن يضرب الوجه؛ لما فيه من إيذاء مباشر للمشاعر وخدش لكرامة الإنسان.

ولذلك لو وضع كل منا هذه القاعـدة النبوية مهما كـان منصبه «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعـيته**» -هذا الميزان النبوى الدقيق- لاستراح... عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبى ﷺ: «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتـأته منيتـه وهو يؤمن بالله واليوم الأخر، ولـيأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه**». رواه مسلم.

لو وضع كل منا نفسه مكان الذى يُعاقب ومشاعره حينما تتلقى الإيذاء، وطبق هذه القاعدة النبوية، ما رأينا هذه الصورة الكريهة!!

*** لغة الحب بين المشاعر:**

حب الناس ينفذ مباشرة إلى مشاعرهم، ولهذا الحب لغة تختلف عن لغة اللسان، إنها بالمصافحة والعناق والتقبيل والسرور الذى تبرق له الوجوه، والصوت الذى ملؤه ترحيب وحب وبهجة، والقيام والتحجيل وحركة القدمينَ اللاإرادية فى النهوض، كل ذلك يترجم فى مشاعر الآخرين بكلمة واحدة هى: (أحبكم أيها الناس).

*** بالعناق والتقبيل:**

«عن عائشة -رضى الله عنها- تقول: قدم زيد بن حارثة ورسول الله ﷺ فى بيتى، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه النبى ﷺ يجر ثوبه واعتنقه وقبَّله». رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

والشواهد على ذلك كثيرة وكلها تقول: يا من تقتدون برسول الله ﷺ خاطبوا مشاعر الناس بالحب، ولا تكتموا عنهم لغة الحب فإنها لا تنسى.

*** بالإشارة:**

ومن لغة الحب مع الناس والذى ينفذ إلى مشاعرهم وله التأثير الساحر: «مخاطبة الشعور بالإشارة» وهو يتوقف على علاقتك معهم ولباقتك ورقة مشاعرهم وإحساسهم المرهف الشفاف، فقد يكون التصريح لهذه الطبيعة سلبياً لا تتحقق ثماره المرجوة، لأن الملمس الناعم إذا مررت

عليه بشيء خشن جرحه وخدشه وربما فتك به، وألم ذلك لا يزول، كذلك فكم تسببنا في آلام لكثير من الناس لم نحسن استعمال لغة الإشارة معهم، ومن أشهر المواقف في ذلك ما رواه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم- عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل!**» قال سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً. متفق عليه.

وبعيد عن الطلب أو الأمر أو الرجاء أو النهي أو غيره من صور التصريح، جاءت الإشارة الرقيقة ناعمة هادئة بارعة، تحقق الأثر بتمكن واستمرار.

*** بالحق وإحسان أدائه:**

ومن لغة الحب بين المشاعر هذا الشعار النبوي الجميل: «**فإن لصاحب الحق مقالاً**» إن أبلغ الكلمات بالفعل تخرج من المشاعر وليس من اللسان، خاصة حينما يقع الظلم عليها أو تُجرح أوتُخدش أوتُكسر، فتخرج في غلظة، وانفعال عنيف، سواء كانت في حوار أو نقاش أو مقاضاة.

ولو عرفنا أن الرجل لن يهدأ إلا بأمر واحد وهو أن يأخذ حقه، وهذا ليس فيه تجني على أحد، بل هو حقه وحصل عليه، فلماذا نعتب عليه أو نلومه، أو نهمُّ به؟.

وتأمل معي هذا المشهد: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فأغلظ له، فهّم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً**، ثم قال: **أعطوه سناً مثل سِنّه** قالوا: يا

رسول الله، لا نجد إلا أمثل من سِنّه قال: **أعطوه؛ فإن خيركم أحسنكم قضاءً**». متفق عليه.

الموقف الأول:

القاعدة النبوية الرائعة «**فإن لصاحب الحق مقالاً**» وهذا يبرر غلظة الرجل وأمر النبى لأصحابه حينما همّوا به: «**دعوه**»، ومعنى ذلك ألا نفلسف الأمر فى هذا الشأن ونقول: كان الأولى بالرجل أن يحترم وأن يوقر النبى، أو أن يطلب حاجته بأخلاق كريمة، فالردّ النبوى واضح جدًا (**فإن لصاحب الحق مقالاً**)، فعلينا مراعاة صاحب الحق ومطالبته بحق حتى ولو كان منفعلاً.

الموقف الثانى:

قول النبى ﷺ: «**أعطوه سِناً مثل سِنّه**» وما فيه من رد الحق لصاحبه وهو الحل الوحيد والطبيعى والكريم والفاضل، وهذا ما فعله النبى ﷺ، كلنا يحفظ أن الرجوع إلى الحق فضيلة، فلماذا لا ننال هذه الفضيلة وهذا الشرف وهذا الاقتداء بقائدنا ﷺ فى إعطاء صاحب الحق حقه.

الموقف الثالث:

قول النبى ﷺ: «**أعطوه؛ فإن خيركم أحسنكم قضاءً**» عندما لم يجدوا مثل سِنّه بل وجدوا أفضل منها، فكان الرد النبوى السابق دليلاً على مخاطبة المشاعر أولاً، فالأمر ليس خوفًا من غلظة الرجل أو انفعالته، وليس محاباة للرجل بإعطائه أفضل من حقه لإسكاته أوتجنب شره أو

التخلص منه، بل إن الأمر فى حقيقته حق ثم إحسان قضاء، فكثير منا يفعلون الحق، ولكنهم يقدمونه فى صورة خشنة فيؤدى ذلك إلى عدم نفاذه إلى المشاعر، ومخاطبة المشاعر بالإحسان تكون للمبدأ وليس للشخص، حيث تتأثر المشاعر وتنمو العلاقات وتحلو الصلات بين الناس.

*** أعلى مراتب الحب «الإيثار»**

إيثار عجيب:

ماذا لو أُعجب أحد الناس بحُلَّتك الجميلة فطلبها منك مع حاجتك إليها؟ أو جاءتك هدية كنت فى أمس الحاجة إليها فطلبها منك أحدهم؟

هل تؤثره على نفسك مع حاجتك إليها؟ أم تعتذر إليه لحاجتك إليها؟

أم تلقى عليه موعظة تكون عبرة لمن تسول له نفسه فعل نفس الشيء؟.

وحتى لا نذهب بعيدًا، هذا مشهد لصحابة النبى ﷺ مع رسول الله ﷺ يرويه لنا سهل بن سعد -رضى الله عنه- أن امرأة جاءت إلى الرسول ﷺ ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدى لأكسوكها فأخذها النبى ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره فقال فلان: أكسنيها، ما أحسنها! فقال: «نعم»، فجلس النبى ﷺ فى المجلس فرجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم: ما أحسنت! لبسها النبى ﷺ محتاجًا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلاً!! فقال: إنى والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفنى قال سهل: فكانت كفنه. رواه البخارى.

الموقف الأول:

إن البردة كانت هدية ومنسوجة والعمل اليدوى يصنع بمهارة وله رونق وخصوصية، ثم إن النبى ﷺ محتاجًا إليها، حتى أنه ارتداها فورًا، وإنها لإزاره. وكل ذلك له دلالة واحدة فى أنها تكون غالية عند رسول الله ﷺ.

الموقف الثانى:

قول الراوى فقال فلان: (اكسنيها، ما أحسنها! فقال: نعم).. الفاء تفيد الفورية فى طلبها وإعجابه بها، و(الفاء) الثانية تفيد الفورية فى استجابة النبى ﷺ (ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه).

الموقف الثالث:

حديث الصحابة مع الرجل، وقد صنعوا من المبررات ما يؤكد أن الرجل أكره النبى ﷺ شعورياً على إعطائه البردة مع احتياج النبى لها ولبسه إياها وسؤاله لها مع علمه بأن النبى ﷺ لا يرد سائلاً، فرد الرجل بأنه ما أراد أى شىء من ذلك، حتى أنه نفى إرادة لبسها قائلاً: إنما سألته لتكون كفنى، ثم يقول سهل: فكانت كفنه.. هذا التحقيق الذى أجراه الصحابة مع الرجل، كان الأولى برسول الله ﷺ -وهو صاحب البردة- أن يسأله هذه الأسئلة؛ ليتأكد، وعلى ضوء الإجابات المقنعة يعطيه أو يمنعه، ولكن النبى ﷺ يعطينا القدوة فى الإيثار مع احتياجنا دون تحقيق أو سؤال عن المبررات أو احتياج الآخرين من عدمه.. إنه الإيثار أعلى مراتب الحب المؤثِّر فى مشاعر الآخرين.

*** إيثار جميل:**

عن أبى موسى -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الأشعريين إذا أُرسلوا فى الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه فيما بينهم فى إناء واحد بالسوية، فهم منى وأنا منهم»**. متفق عليه.

الموقف الأول:

إنه إيثار جميل من كل جوانبه، فمن كثرة ما اعتادوا على هذا الإيثار وفعله وممارسته أصبح ديدنهم وطبعهم وسجيتهم الجميلة، وهو يحتاج إلى نفوس كبار وإرادة سامية، وهم يتعاملون به دون أن يجرحوا مشاعر بعضهم أو يخدشوا إحساس أحدهم، فلم يعلنوا مثلاً:

من يريد شيئًا؟

أو من نقصت عنده الأقوات؟.

أو من قلّ لديه الزاد؟.

أو حتى لم يطلبوا إحصاء الأشياء.

أو كتابتها بدقة وتدوينها حسابياً.

بل: «جمعوا ما عندهم فى ثوب واحد» ثم «اقتسموه فيما بينهم فى إناء واحد بالسوية» فالغنى كالفقير، والفائض كالمعدوم، والزائد كالقليل، والمتقدم كالمتأخر، والنتيجة: إحساس واحد وشعور واحد.

الموقف الثاني:

فى قـول النبى ﷺ: «**إن الأشـعـريين إذا أرسلوا فى الغـزو أو قلّ طعـام عيالهم بالمدينة**» أى: فى كل الأحوال، سواء كانوا بالمدينة أو فى خارجها، وهذه السجية ما أحوجنا إليها اليـوم لإنهاء الكثير من الأزمات الاقتصادية التى تحاصر الناس، وهى نافعة لكلٍ من: مجـموعة عائلات فى مصيف، أو سكان عـمارة واحـدة، أو أهل قرية صـغيـرة، أو رحلات جـماعـية سياحية، أو أناس تعرضوا لمحنة كراكبى أتوبيس أو قطار أو طائرة تعرضوا لنقص فى العلاج أو الأغذية أو المـلابس أو غيرها، أو نزلاء فى فندق أو سجن أو مستشفى أو معـسكر، أليس لو فعلوا فعل الأشعريين لكان الأمر جميلاً؟!

الموقف الثالث:

فى قول النبى ﷺ : «**فهم منى وأنا منهم**» وهو الأمر الجـميل من هذا الإيثار الجـميل، فـهذا الحب الذى نفـذ إلى المشاعـر فأصـبحت شـعورًا واحدًا، لن ينساه هؤلاء الناس لك، إن مارستـه فى السفر أو فى الإقامة، وهل هناك امتزاج أجمل من هذا الامتزاج حينما يكون أفراد المجتمع كيانًا واحدًا بعضهم من بعض؟!

الأجـمل منه أن تكون جـزءًا من النبى ﷺ ويكـون النبى ﷺ منك، تقتدى بفعله وتمارس تطبيقه فكأنه معك وكأنك تراه وتعايشه.

فهل توافق على ذلك فتكون مثل الأشعريين؟!

ثانيًا: الطريق إلى المشاعر

كيف تكتشف ما في مشاعر الآخرين؟

أولاً: بالحواس:

هل يمكنك عن طريق حواسك اكتشاف ما فى مشاعر الآخرين؟ وهل يمكنك عن طريق ما تراه فى حواس الآخرين اكتشاف ما فى مشاعرهم؟ إن هذا الاكتشاف المبكر يكون سببًا عظيمًا فى التأثير لدى مشاعر الآخرين، حينما تجيب على تساؤل لأحد الناس أو حيرة أو قلق أو توهم أو تخوف بمجرد أن ترى إيماءة أو حركة من حواسهم، فما أعظم هذا التأثير!! فكم نرى ونسمع ونتذوق ونشم الكثير من الأشياء فى يومنا مع الناس، فهل استطاع بعضنا أن يترجم ذلك إلى ما يدور فى مشاعرهم؟ فيبادر باستيفاء مطلبهم وتلبية حاجتهم وتحقيق رغباتهم!!

١ - بالرؤية:

جاء قوم من مُضر عراة من فقرهم، متقلدى السيوف، فتمعر وجه النبى ﷺ لما رأى ما بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلال فأذن وأقام فصلى ثم خطب.. فتصدق رجل، ثم تلاه آخر، حتى كان كومين من طعام وثياب، فتهلل وجه النبى ﷺ ، نعم.. تهلل وجه النبى ﷺ... فهل تريد أيها القارئ الحبيب أن يتهلل وجهك دومًا؟!

هلا رأيت محتاجًا أو مسكينًا أو فقيرًا ذا حاجة، فبمجرد رؤيتك له

تقضى حاجته، دون أن يطلب عونًا، فتفرح مشاعرك وتبتهج أسارير وجهك.

* عن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه- قال: بينما نحن فى سفر إذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ:

«من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

فذكر من أصناف المال ما ذكره حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحد منا فى فضل». رواه مسلم.

الوقفة الأولى:

كيف كانت تتحرك الحواس للاكتشاف المبكر لما فى المشاعر؟! فالرجل كان يصرف بصره يمينًا وشمالاً، ترجمها النبى ﷺ بحاجته إلى المساعدة.

الوقفة الثانية:

قول الصحابى راوى الحديث: «فذكر من أصناف المال ما ذكره، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل» أى تأثر فى مشاعرهم حينما أدركوا أن زيادة معاشهم وحاجتهم ليست من حقهم، فلابد أنها دائمًا تذكرهم بمشاعر الآخرين.

* عن الصعب بن جثّامة -رضى الله عنه- قال: أهديت رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا فردّه علىّ، فلما رأى ما فى وجهى قال: **«إنا لم نرده**

عليك إلا أنا حُرم» متفق عليه. هذه هى الحساسية عندما تقع العين على ما فى وجوه الناس.. ماذا رأى النبى ﷺ فى وجه هذا الرجل؟ إلا تعبيرًا عن الحزن لردّ النبى ﷺ الهدية، فكان لابد من الإيضاح والتبيين وإبداء السبب حتى يزول أى تساؤل أو غموض فى مشاعر الرجل. عليك أفضل الصلاة والسلام يا رسول الله..

٢- بالسماع:

* القيل والقال، وترك الأذن لتسمع الغث والثمين، فقد يؤثّر ذلك فى النفوس، وتنتشر البغضاء بين الناس، ويجرح الكثير من المشاعر، فعن ابن مسعود يقول النبى ﷺ: **«لا يُبلّغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئًا؛ فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»**. رواه أبو داود.

* الحكم على الآخرين، يؤذى الأذن، وقد تتحول مشاعرنا باتجاه سلبى نحو الآخرين، ويظهر ذلك فى صور سيئة ونحن نتعامل معهم.. وهذا ما نهى عنه رسول الله ﷺ حينما سأل: **«أين مالك بن الدّخشُن؟** فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ولا رسوله، فقال النبى ﷺ: **«لا تقل ذلك؛ ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله، وأن الله حرم النار على من قال: لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله»**. متفق عليه.

* عن أنس -رضى الله عنه- قال: قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول الله ضعيفًا أعرف منه الجوع، فهل عِندَكِ من شىء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخذت خمارًا لها فلفّت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبى ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ. والذى

يهمنا من هذا الجزء من الحديث المتفق عليه، كيف ترجم أبو طلحة بحاسة السمع صوت رسول الله ﷺ فعرف من صوته الجوع، فهل يستطيع أحدنا إذا سمع كلام الناس أن يتعرف من أصواتهم على أحوالهم من جوع أو خوف أو اضطراب أو سرور أو فرح أو بهجة، ويُحول هذه المعرفة إلى عمل إيجابى كما فعل أبو طلحة بإرسال الطعام إلى رسول الله ﷺ، وأى مجتمع هذا الذى يتعامل الناس فيه بمشاعرهم؟!

٣- بالتذوق:

وهو أمر خاص بالطعام، وكم جُرحت أحاسيس لمجرد أننا انتقدنا طعامها بعد أن تعبت فى إعداده وهى مسرورة وفرحة فى تقديمه!! إذ تقدمه فى حب وتصنعه بمهارة، لا تبتغى إلا سعادة متناوليه، وإذا بها تصطدم بعيب يتصاغر بجوار ما فعلت، وخاصة أن العين تقع أولاً على العيوب والمساوئ!!

* عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: «ما عاب رسول الله طعامًا قط، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه». متفق عليه. بل إن النبى ﷺ كان يسأل عن الطعام يحب أن يأكله، فلما لم يجد، كان يمدح ما يقدم إليه أو الموجود ، وكأنه ما يحب إلا إياه، عن جابر عن النبى ﷺ سأل أهله الأُدْم فقالوا: ما عندنا إلا الخلّ، فدعا به فجعل يأكل ويقول: «**نِعْم الأُدْمُ الخلّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخلّ**». رواه مسلم.

وليس هذا الأمر خاص بالزوجة أو الأم أو الأقارب أو الأصدقاء فحسب بل حتى بالطعام الذى يقدم فى الفنادق والنوادى أو الطعام العابر

السريع وهو نوع فريد فى التـأثير فى مشاعر معـدّى الطعام لن ينسوه أبدًا لك وربما تَذَكَّرُوك به دائمًا.

٤ - بالشّم:

إذا كـان النبى ﷺ لا يرد الطيـب لما فى الرائحـة الطيـبـة من أثر فى المشاعر، كذلك فالرائحة غير الطيبة يتأذى بها الناس، ولم يكن نهى النبى ﷺ عن اختـلاط مَنْ أكل ثومًا أو بصـلاً بالناس أو المسجـد أو المنتديات المختلفـة إلا لهذا الغرض، ويقـاس على ذلك كل ما شأنـه أن تنبعث منه رائحة غير طيبـة تسبب أذى للناس، عن جابر -رضى الله عنه- قال: قال النبى ﷺ: **«من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا»**. متفق عليه.

وفى رواية: **(فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)**.

والأذى قد يكون فى ملابس تنبعث منها رائحة غير طيبة، أو مهملات مؤذية، أو رائحة مـجارى مهملة، ويرحم الله أيامًا كنت مـعتقلاً سيـاسيًا بسجن الحضرة بالإسكندرية، وقدر الله أن يكون سجننا مع الجنائيين فكان إن فتحت أبواب الزنازين فخرجوا سبقتهم روائح كريهة تغتم لها المشاعر، وذلك للعدد الكبـير وسوء الزنازين، وكان أحـدهم يجرى حاملاً خـشبة يتدلى منها صفـيحتان مملوءتان، بالبول، نصف ما فـيهما يقع فى الطريق قائـلاً: (إوعى البول) وهو يهـرول، وبالفعل لأول مـرة أشعـر بظلام تام داخل مـشاعـرى، وعرفت قـيـمة الرائحـة الطيبـة الكريمـة وأثرها على الآخـرين. عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قـال: قال رسـول الله ﷺ: **«من عـرض عليه ريـحان فـلا يرده؛ فـإنه خفـيف المحـمل طيب الريح»**. رواه مسلم؛ فالله جميل يحب الجمال.

ثانيا: بحسن الخلق:

١ - ولو من مشرك:

ليس مجالنا الحديث عن حسن الخلق، وإنما منهجنا كيف يكون حسن الخلق سببًا مؤثرًا فى مشاعر الناس؟ وكيف أن حسن الخلق من طرق التأثير فى المشاعر؟

وهذه الوسيلة سنة باقية، حتى ولو كان الخلق من غير مسلم، حينما هاجرت أم سلمة بمفردها إلى المدينة لقيها عثمان بن أبى طلحة وهو مشرك، فأخذته نخوة العرب: تقول أم سلمة: **فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأخر عنى، حتى إذا نزلت استأخر بعيرى، فحط عنه قيده فى الشجرة، ثم تنحى عنى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدّمه فرحّله ثم استأخر عنى وقال: اركبى، ومازال يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة، فلما وصل إليها قال: زوجك فى هذه القرية، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة، فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة** (ابن هشام السيرة النبوية (١/ ٤٦٩).

مع العلم بأن المسافة بين مكة والمدينة حوالى (٥٠٠ كم).

٢- أحسن معلم:

عن معاوية بن الحكم السلمى -رضى الله عنه- قال: **بينما أنا أصلى مع رسول الله ﷺ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرمانى**

القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أماه!! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم؛ فلما رأيتهم يصمتوننى لكنى سكت -وكان حديث عهد بالإسلام-.. يكمل: فلما صلى رسول الله ﷺ -فبأبى هو وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه فوالله ما كرهنى ولا ضربنى ولا شتمنى -قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح منها شىء من كلام الناس- إنما هى التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**». رواه مسلم.

وهكذا كان الطريق إلى مشاعر الرجل فى قوله: ما كرهنى ولا ضربنى ولا شتمنى، حتى أن الرجل لن ينسى أبدًا ما نطقت به مشاعره: فبأبى أنت وأمى ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه.

٣- مقابلة الإساءة بالبسمة:

لو رد أحدنا على الإساءة بالإساءة لدخلنا فى حلبة مصارعة لا فائز فيها، ونخسر فيها مشاعرنا، والنبى ﷺ كان يقابل الإساءة بلغة المشاعر، بالخلق الجميل، عن أنس -رضى الله عنه- قال: كنت أمشى مع رسول ﷺ وعليه برد بحرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال: يا محمد، مُرْ لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء. متفق عليه.

الموقف الأول:

(فالتفت إليه) وهذا أمر طبيعى فى اكتشاف المسىء ومعرفة من هو

وثقافته وعقله وفهمه ونفسه، فلما تبين أنه أعرابى، أى: حديث عهد بالإسلام ويجهل الدين كان الموقف الثانى.

الموقف الثانى:

(فضحك) وهذا هو خلق النبى ﷺ ، هذه هى الأخلاق السامية فى مواجهة إساءة الأعرابى، فمع شدة إساءته وأثرها فى عنق النبى ﷺ، فإنها تثير الضحك والإشفاق على مستواه وما يفعل.

الموقف الثالث:

(ثم أمر له بعطاء) إنه الخطاب المباشر لمشاعر الأعرابى، فالمال هدفه القريب الذى من أجله يكافح، وعليه ضحك النبى ﷺ، فإن تحقق هدفه امتلأت مشاعرهم بالانجذاب نحو رسول الله ﷺ ويحكى بها مدى عمره، عن أخلاق الكامل فى أخلاقه «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

٤- إشاعة البشرى والأمل:

عن عمرو بن عوف الأنصارى -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح -رضى الله عنه- إلى البحرين يأتى بجزيتها، فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين؟**» فقالوا: أجل يا رسول الله، فقال: «**أبشروا وأمّلوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا**

عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم». متفق عليه.

الموقف الأول:

(فلما انصرف تعرضوا له) جاءوا مبكرين من أجل المال، مزاحمين طالبين، والوقت غير مناسب للتقسيم، ولكن مشاعرهم اجتمعت كلها على المال، حتى أنهم لم يراعوا انصراف النبى ﷺ، بل تعرضوا له، فالإنسان حينما لا يرى إلا هدفه القريب يكون بمثابة من صنع سورًا منيعًا بينه وبين مشاعر الآخرين، فلا يرى إلا حدوده وفقط.

الموقف الثاني:

(فتبسم رسول الله ﷺ) ثم هذا الحوار الرقيق للتأكد من حاجتهم للمال، وما يسيطر على مشاعرهم، فكانت هذه البسمة بمثابة المفتاح لنفوسهم، والعطر الذى عطره به النبى ﷺ قبل الحوار.

الموقف الثالث:

خطاب المشاعر من رسول الله ﷺ **«أبشروا وأمّلوا ما يسرُّكم»**.

لم يردهم لأن الوقت غير مناسب.

أو طلب من أصحابه إبعادهم حين تعرضوا له.

أو أعطاهم موعدًا آخر للعمل على اطمئنانهم.

أو وعدهم بموعد آخر لإشاعة الهدوء ثم يفكر ويدرس الموقف.

أو فكر فى نهرهم لتكالبهم على الدنيا.

أو قام بإلقاء موعظة مباشرة بدون مقدمات كفعل انفعالى حين رآهم يتكالبون.. ولكن النبى ﷺ ركز على خطاب المشاعر أولاً، فبعد التبسم والحوار الرقيق كان خطاب مشاعرهم بإشاعة الاطمئنان، وأنهم سيحصلون على مطالبهم من العطاء، وإشاعة الأمل والبشرى والسرور والبهجة، فوالله لو رجعوا بهذه المشاعر لكفتهم عن مال الدنيا وليس مال البحرين!!

الموقف الرابع:

وبعد أن تهيأت المشاعر وظهر التأثر السحرى، كانت الأرض صالحة لإلقاء البذرة، فكان الموعد الجميل للموعظة الأبدية لرسول الله ﷺ.

(فوالله ما الفقر أخشى عليكم..).

لنعلم أن وعظ الناس إن لم يؤثر أولاً فى مشاعرهم فقد ينعكس أثره ويكون سببًا فى تنفير الناس عن الحق أو حملهم بمشاعر الكره للدعوة والداعية معًا.

* * *

ثالثا: دليلك لاكتشاف مشاعر الآخرين

كيف تكتشف مشاعر الآخرين؟

* هل يستطيع أحدنا أن يتعرف على الآخرين من خلال لهجته فى الكلام؟ وهل نستطيع أن نتعرف على الحالة العقلية والجسمية والعاطفية عن طريق معرفة أوضاع ووقفات وعادات الآخرين؟ أثبتت الدراسات يسر سهولة هذا الأمر.

* من المشاعر الإيجابية: أن يتقدم الإنسان إلى الأمام وينهض بالعمل ويزيح أى عقبات من أمامه ليواصل الانطلاق ولا يصاب بالتوتر.

* والذين يقولون: (سوف أترك كل شىء خلف ظهرى) البعض يفهمها بالخطأ فيظن أنها مدعاة إلى الكسل والدعة وعدم العمل ولذلك تمتلكه المشاعر السلبية ويشعر بالفعل بآلام فى الظهر من شدة التوتر.

* **وهل الجسم مكيف أصلاً حسب الشعور؟**

قاموا بتقسيم الجسم إلى أعلى وأسفل، فالجزء العلوى غارق فى التفكير؛ لأنه يحتوى على الوصول بالذراعين للتعبير عن الحب والغضب ولتوجيه الآخرين ويحتوى كذلك على الرئتين والدماغ وتكمن أهميته من أجل استمرار حياة الجسم، بينما الجزء السفلى منطوى على نفسه متصل بالأرض وعلاقته بالإخصاب وهضم الطعام وإخراجه فإنه يتصل بالمشاعر الأرضية الخاصة أو بالوطن والبيت والاستقرار.

ومثال ذلك:

* المرأة تمتلأ من القسم الأسفل وشخصيتها مليئة بالمشاعر فهى تضع البيت والعائلة فى المقام الأول.

* والرجل صاحب كتفين عريضين وصدر واسع وساق رفيعة يكون نشيطًا ويعبر عن نفسه ويفضل العمل وربما يواجه مشكلة فى مشاعره.

١- من جسمك أكتشف مشاعرك

العلاقة متناغمة بين حركة الجسم والمشاعر نجملها فى التالى:

١- **حركة الرقبة:** (لا تنحنى برقبتك إلى أسفل).

لا انفصال بين الأفكار والمشاعر حتى لو كانت الأفكار فى الدماغ والمشاعر والأحاسيس فى الجسم، فوضع الرقبة والرأس إلى الإمام تعبر عن مواجهة العالم بشكل إيجابى، وانحناء الرقبة يدل على ضمور الإحساس، فى حين نرى أن مد الرقبة إلى الخارج علامة من علامات القلق، وشد الرقبة إلى الخلف ويبدو الفم إلى الأمام أيضًا من علامات القلق، والصلابة فى الرقبة التى تدل على أن الشخص يستعد لمواجهة هجوم أو يواجه صعابًا وتوترًا وكل ذلك يؤدى إلى آلام فى الرقبة.

* الفم المشدود إلى الداخل باتجاه الرقبة يدل على نقصان الثقة بالنفس ويحدث ذلك عندما يشعر الإنسان بالحزن والعجز عن الكلام والتعبير عن النفس.

٢- **حركة الرأس:** الرأس المنخفض إلى أسفل يدل على الخضوع أو الخجل والأسف والحزن، وقد يبقى مدة بعد زوال السبب.

من الصعب التفكير بوضوح أثناء تحريك الرأس؛ ولذلك نلاحظ أن المفكر يمسك رأسه ويثبته بيديه عن طريق وضع اليد على الخد أو على الفك لكى يفكر بعمق.

٣- **حركة اليدين:** حركة اليدين تعبر عن مشاعرنا ولمس الآخرين، ولذلك فالذين يحركون أيديهم أثناء الكلام يجدون صعوبة فى الكلام وأيديهم مقيدة.

٤- **حركة الوجه:** جميع أجزاء الوجه نستعملها فى التعبير عن مشاعرنا لكى تتصل الحقائق.

٥- حركة الوقفات:

١- **وقفة الحنان:** وقفة المتقدم إلى الأمام بانتباه تدل على الحنان والدفء.

٢- **وقفة الخجل والملل:** وقفة الانسحاب، يتوقف ثم يرجع إلى الخلف تدل على الخجل والملل.

٣- **وقفة الثقة:** وقفة الفخر منتصب مع قوة تحمل تدل على الثقة فى النفس.

٤- **وقفة الخضوع أو عدم الرضا:** وقفة الانكماش والتقلص تدل على الإذعان والخضوع وربما الاكتئاب أو عدم الرضا.

ملاحظات حول اكتشاف المشاعر من حركة الجسم:

* الشخصيات المنطوية عندهم أفكار ومشاعر ولكن لا يستطيعون التعبير عنها ولذلك يميلون إلى الاحتفاظ بها.

* كل الحوادث والانزعاجات التى فى المشاعر تقلص أنسجة العضلات، وإذا استمرت العضلات تستقبل حالات الخوف والحزن والغضب مدة من الزمن فإن العضلات تصاب بأمراض مثل عدم الليونة وعدم التوازن وانخفاض الحيوية، ولذلك نحتاج إلى التمارين الرياضية.

* احذر المبالغة فى التعبير فأحيانًا زاوية الرأس تضغط على الحنجرة والصدر وتسبب صعوبة فى التنفس وخروج الصوت من الحنجرة مما يسبب ألمًا فى التعامل مع الآخرين والتعبير عن مشاعرنا.

* إن مشاعر الغضب والقلق يعبر عنها الجسم بأن الظهر يتقوس وتبرز البطن إلى الأمام واليدين إلى الخارج بما تسمى وضع هجوم، اسأل نفسك: ما الذى يهددنى؟ انتبه وحرر رقبتك تتخلص من التوتر وتمتلك مشاعر حسنة.

* الميل بالجسم على إحدى القدمين ثم الأخرى وبالتالى ينتقل الوزن من إحداهما إلى الأخرى يدل على عدم الراحة وعدم التوازن والشخصية غير ثابتة، وبالتالى المشاعر غير مستقرة.

* اقتراب الركبتين إحداهما إلى الأخرى يدل على الشعور بعدم الأمان، ولإخفاء ارتباكك تقوم بضرب كعبى قدميك على الأرض.

* خبـراء المساج يقولون: إن كل عـضو داخل الجسم له منطقـة تتعلق به موجودة على القدمين، فمثلاً تحت الأصبع الثانى من القدم نقطة تتعلق بالعينين، ويقـولون: إن عدم الراحة فى مناطق معينـة من القدمين يدل على التعب فى جـزء آخر من الجسم، ولذلك بالمساج يمـتلك الإنسان مشاعر الراحة والانتعاش.

٢- من مشيتك أعرف مشاعرك

* هل من طريقـة مشيك أكـشف مشـاعرك ومزاجك؟! نعم.. فـطريقة إظهار الرشـاقة والوقـوف منتصبًـا تدل على الثقـة بالنفس، والخطوات الخفـيفة والتحـمس إلى الأمام فى الحركـة تدل على مشاعر السـعادة، والخطوات البطيئة والوقـفات المنحنية والأقدام الثقيلة تدل عـلى مشاعر القهر والهزيمة أو الغضب، وربما يركل بقدميه الأشياء الصغيرة.
* وضع اليـدين فى الجـيوب أثنـاء المشى إن لم يكن من البـرد يدل على الشخصية المنسحبة أو التعرض للنقد من الآخرين.
* الذراعان المنحنيان تدلان على حـالة دفاعية، والذراعان الملفـوفان حول الجسم تدلان على الثقة، وكأن الإنسان يعظم نفسه.
* المشى ذهابًا وإيابًا والرأس منحنية والعيـون تنظر إلى الأرض دون تركيز يدل على التـفكير العـميق، وهـذا النوع قيل: إنه يسـاعد على حـرق الأدرنالين، وهى طريقة مفيدة للتخلص من أى توتر.
* يمكنك بمراقبة نفسك أثناء المشى أن تمتلك مشاعر إيجابية مثل:

١- هل أنظر إلى الأرض أم إلى الناس أم إلى السماء؟

٢- هل الخطوات فى المشى واسعة أم ضيقة؟

٣- هل أمشى منحنيًا أم منتصبًا؟

وهكذا من المشى المتـزن تمتلك مـشاعـر الثقـة والاسـتـرخاء والراحـة والاتصال بالآخرين والتواصل معـهـم دون معاناة أو انسحاب أو انطواء أو أو توتر أو غضب أو قلق.

*** لماذا البعض يروح ويجىء؟**

الوقوف عموديًا يساعد على التفكير واتخاذ قرار، والمشى بهذه الصورة بشكل غريزى عندما يحتاج صاحبها إلى اتخاذ قرار.

٣- من وجهك أكتشف مشاعرك

هل بعض الوجوه لا تعبر عن مشاعـرها؟ نعم.. نتيجة للضغوط على الإنسان، والضـغط يعنى عدم الاستجـابة الدقيقـة من الجسم لأى طلب، وهى حالة انقطاع تام عما تقول أو تفعل وعلاماته من ناحية المشاعر:

١- حالات انقطاع للتفكير.

٢- حالات انقطاع عندما لا نكون سعداء.

٣- حالات انقطاع عندما لا نكون متأكدين مما نسمعه.

أما الوجوه التى تستـجيب يمكن اكتشاف مشاعرها بما تفـضحه العيون والاسترخاء والإصغاء.

١- لغة العيون:

- عندما نقول: نحن نرى ما نعنيه، فمعنى ذلك أننا فهمنا ما نقوله.

- من يغلق عينه أثناء المناقشة فإنما يتذكر شيئًا أو يريد ألا يفهم.
- العين المراوغة (تحملق فى الهواء أو الأرض).
- العين التى تغير اتجاهها (كأنه يبحث عن مخرج).
- العين المنمنمة (لا تستطيع تغلق أو تفتح جفونها).
- العين المتلعثمة (توضح أن المتكلم يفكر بأمر آخر) تبقى مفتوحة عدة ثوانى أكثر من اللازم.

٢- لغة الإصغاء:

عدم الإصغاء: فرك الأذن- وضع الأصبع داخله- ثنى كل الأذن إلى الأمام للتخلص من حديث ممل.

وقد يصل الأمر إلى التوتر نتيجة للانتظار.

ومن مشاعر التوتر التى تظهر على الوجوه:

النظر إلى الساعة بشكل متكرر.

النظر إلى الأظافر بتركيز شديد.

مضغ اللبان بشكل دائم.

مص أطراف الشعر أو اللحية.

غرز الأسنان فى قلم رصاص.

ولذلك فمن علاج التوتر:

١- المشى؛ يفرز الإدرنالين مما يسبب الشعور بالانشراح.

٢- تمارين الاسترخاء.

٣- الأشخاص ذو النوم القصير يكون لديهم معـدلات طاقة جسمية عالية وهم يعملون بجد، وهم عـمليون ولديهم طموحات كـثيرة، والذين يحتاجون إلى أكـثر من ٩ ساعات من النوم كل ليلة ليسـوا أشخاصًا عاديين ويكونون عادة منطويين على أنفسهم.

٤- دلت التجارب عـلى أن الأحلام ضرورية بالنسبة إلـى الدماغ والجسم المعافـى والصحيح، عـندما لا يحلم الشـخص فإنه يصـبح شخـصًا مزعزعًا وغير طبيعى.

٥- المشاعـر المتأثرة تتـعلق بحيـاتنا أثناء النوم، ولو هناك استـرجاع لجـميع الأحلام ربما تساعد علـى إظهار المشاكل النفسية والشـخصية لدى الناس فـبعـض النظريات تقـول: إن الحلم نوع من رد الفـعل؛ بحـيث يحلم الشخص بكثير من الأشياء التى رآها أو مارسها أو شعر بها أثناء النهار.

٤- من طريقة نومك أعرف مشاعرك

كيف تتحكم على الشخص النائم؟

- طريقة الـنوم تدل على الشخـصية، وتعـبر عن كـمية التـوتر التى فى أجسامنا، وتفصح عن مشاعرنا.
- سجل زوجان مشاعرهما أثناء النهار وثبتـا كاميرا لتصوير وضعهما أثناء النوم فتبين أن وضعية النـوم للشريكين الزوجين ترتبط بمشاعرهما أثناء النهار من شجار، فكان النوم بعيدًا عن بعضهما وبالعكس.

١- وضعية البحث عن الراحة:

وضعية الجنين: وهى وضعية الدفاع عن النفس ووقاية الجسم؛ حيث الركبتين إلى الأعلى قرب الصدر، والذراعين على جانبى الجسم.

وهى تحمل: مشاعر عدم الأمان والبحث عن الراحة التى جربناها فى بطون أمهاتنا.

٢- وضعية الراحة والرضا:

وضعية تشبه الجنين، وفيها: تكون الركبتان والذراعان منحنيتين قليلاً ولكنهما مفرودتان، تحمل مشاعر الراحة والمتعة والرضا عن النفس وتدل على أن أصحابها لم يمروا بمصاعب أثناء النهار.

٣- وضعية الواثق والخجول:

ساق ممدودة وأخرى مفرودة وهى تدل على صراع داخلى مثل الواثق من نفسه وفى الوقت نفسه خجول، والعكس.

٤- وضعية المشاعر والنظام:

الوجه إلى أسفل والذراعان والساقان إلى الخارج تدل على التحكم وهم أشخاص يحبون النظام والدقة وتبادل المشاعر وتنظيم حياتهم.

٥- وضعية الأمن والسعادة:

النوم: فى مناطق واسعة وحرية واستلقاء على ظهر تدل على الأمن والسعادة والثقة والحرية والراحة.

س: لماذا الاستلقاء:

ج: الاستلقــاء يساعد على مـعالجة الأفـكار الجديدة والتأمل والخـيال والنظر، والكثير يستلهمون من الإستلقــاء حل مشاكل وإبداعات وكثير ما يلجأ إليها الخطباء والمفكرون والمبدعون.

٥- من ابتسامتك أكتشف مشاعرك

ماذا يحدث عندما نبتسم؟

١- الشخص المبتسم يؤثر تأثيرًا إيجابيّـاً على الآخرين.

٢- الشـخص المبتـسم يتـمتع بالدفء والحنان وبُعـد النظر بعكس البـرود والانسحاب.

٣- الشخص المبتسم هو المخلوق الوحيد الذى يضحك ويبتسم، فلماذا لا نستخدم حقنا الطبيعى فى الابتسام؟!

٤- الشخص المبتسم يمكن أن يولّد علاقات ومشاعـر متبادلة، فالابتسامة تزيد من جريان الدم وتوزيعه إلى المشاعر المبهجة.

٥- نتيـجة للبحوث التى أجـراها (بول الكمان) فى جامـعة (كاليفـورنيا) والتى أراد أن يكتشف العلاقة بين الابتسام والمشاعر؛ حيث سجَّل عن طريق أسلاك التغيرات فى الحـرارة وحالة القلب ومقاومة الجلد وتوتر العضلات، اكتشف أن الوجوه السعـيدة تعطى الشعور بالهدوء إلى ما بعد الحدث المفرح.

٦- وهناك لغة الابتسام، وتسمى الابتسامة الشعورية: تعبر عن السعادة والفرح والسرور، وكلما كانت المشاعر قوية توضحت الابتسامة ومدتها لا تزيد عن ٤ ثوانى، وتسمى الابتسامة النابعة من القلب، وفيها تتبادل العيون التحية، وعليه فالمشاعر الصادقة تصنع هذه الابتسامة، وأما المشاعر الزائفة فإنها تصنع ابتسامات زائفة سرعان ما يكتشفها الآخرون إذا تمعنوا فى عيون أصحابها؛ لأنها تعطيهم إحساسًا بعدم الارتياح.

٦- من عينيك تظهر مشاعرك

١- العين تتكلم وتتصل، أثناء الحديث الودى ينظر الناس أحدهم إلى الآخر بشكل متكرر ولكن لفترات قصيرة من الزمن.

٢ - المحبون يطيلون فترة النظر بالعين؛ لأنهم يحملقون بشكل لا إرادى فى عيون بعضهم.

٣- النظر الطويل أقل سرورًا ومتعة، يحصل عندما يريد الشخص أن يسيطر عليك أو يهددك.

٤- الخجل يجعل صاحبه يعانى من عدم القدرة على النظر فى عيون الآخرين.

٥- بينت الدراسات أننا نستخدم الاتصال بالعيون لكى ننظم المناقشات عندما يتكلم شخص أى مدة من الزمن فإنه يرتبط بمعدل طبيعى من الاتصال بالعين، وعندما يقتربون من نهاية كلامهم يحملقون بشكل

ثابت فى مستمعيهم ويستجيب المستمع إلى هذه الإشارة بأن يبتعد بنظره وأن يبدأ بالكلام.

٦- من المشاعر التى تعبر عنها العين ولا يستطيع الشخص تزييفها مشاعر الخوف والحزن، وكذلك الدهشة والصدمة؛ حيث يرتفع الحاجبان وتفتح العينان بشكل واسع مع شهقة أو فتح الفم.

٧- فى حركة رأسك تعبير عن مشاعرك

إذا تكلمت أو استمعت -حتى ولو كان على الهاتف- فإن رأسك يتحرك إلى الأعلى وإلى الأسفل وإلى الجانبين، وكل حركة تعبر عن مشاعرك، كيف؟.

* عندما نتحدث نستخدم رؤوسنا بطريقة استخدامنا ليدينا نفسها، وذلك من أجل إضافة المزيد من الجدية لما نقوله.
* حركة خفض الرأس تطيل من مدة المناقشة، لأنها تدل على: نعم، أو تشجيع الآخرين لفهمها واستحساننا لما يقولونه.
* حركة الرأس إلى أحد الجانبين علامة على انتباهنا للحديث، وهى تكثر لدى النساء عن الرجال، ولذا فالنساء مستمعات جيدات.
* إن لم نعبر عن مشاعرنا بحركة الرأس فالحياة تكون جامدة.
* ولذلك يمكن أن توقف بشكل ما أى إنسان عن الاستمرار فى الحديث بأن تقطع صلة العين به وتثبت رأسك فى اتجاه معين، فهو يمل حينئذ ولا يرتاح ويصمت.

٨- من صوتك تتضح مشاعرك

* لا يوجد شخصان صوتاهما متشابهان تمامًا، فالصوت جزء مهم من الشخصية، ومعبر جيد عما فى مشاعرك.

- فالغضب يجعل الصوت حاداً ويزداد ضخامة.
- وفى الخوف ينقلب الصوت إلى صياح بصوت عالٍ.
- وفى الحزن والأسف ينخفض الصوت وينحرف.

* تجنب الكلام السريع؛ فالناس لا يثقون بالذين يتكلمون بسرعة.

٩- من يديك أعرف مشاعرك

١- إذا كان المتكلم يضم يديه إحداهما إلى الأخرى فهذا يدل على اليأس والفشل أو الألم، وإذا كان مستمعًا فهذا يدل على الاستجابة السلبية.

٢- اليدان متشابكتان بشكل خفيف خلف الظهر وضعية الواثق تمامًا.

٣- اليد الموضوعة على الخد دون ضغط تدل على التحليل والتقيم لما يتم سماعه.

٤- الذراعان ملتقيان وأصابع الإبهام إلى الأعلى دلالة على وضعية الدفاع والعقل المغلق.

٥- وضع رؤوس أصابع اليدين بعضهما مقابل البعض الآخر دليل على الثقة والشعور بالتكبر.

٦- اليد على الرقبة من الخلف دليل على أن الشخص يحاول أن يضبط نفسه والسيطرة على غضبه.

٧- إذا كان الشخص يحك ذقنه فـإن ذلك يدل على أنه لا يصدق كل ما يقال له.

٨- عندما يتكئ الرأس على اليد فإن السبب هو الملل أو التعب.

٩- حكُّ الرأس إشارة إلى الارتباك وعدم التـركيز حول كيفية اسـتقبال ما يقال.

١٠- المنحنى قليلاً أو الذى يفرك جانبًا من رقبته تدل وضعيته على الشك فيما يسمع.

١١- كلتا الـيدين خلف الرأس الشـخص واثق من نفسـه وربما كان ذلك نوعًا من التكبر والغطرسة.

١٢- قبضتا اليدين مضمـومتان مع الحركة أثناء الكلام دليل على العدوانية والتهديد.

١٣- استخـدام أصبع السبابة للإشارة على شـخص ما دليل على التسلط والعدوانية والتحكم.

١٤- عندما تخـتفى أصـبع الإبهام داخل قبـضة اليد فـإن ذلك يدل على صعوبة تحليل المشكلة.

١٥- باطن الكفين منطبـقتان على بعضـهما يدل على رغبـة الشخص فى الاقتناع أو تحديد فكرة.

١٦- ابتعاد الأصـبع الصغرى عن باقى الأصابع يبـين الرغبة فى أن يكون الشخص مختلفًا.

١٧- فرك اليدين معًا وبسرعـة تدل على الاقتناع وفركهما ببطء يدل على الثقة.

١٠- من لمستك أعرف مشاعرك

أنواع اللمسات:

١- **اللمسة المهنية:** كالطبيب والرياضى والمدرس وهى لتهدئة الأعصاب أو المساج أو الفحوص الطبية.

٢- **اللمسة الاجتـماعية:** وهى عادة أغلب أهل الأرض كالمصـافحة باليدين عند الاستقبال أو الوداع.

٣- **اللمسة الودِّية:** لمس الذراع حتى العناق فى حـالات الفوز أو النجاح. وهى تدل على الدفء والحنان والشجاعة والتشجيع والتعاطف.

٤- **لمسة الحب:** الأزواج والآباء والأبناء والأصدقاء المقربون وهى تدل على الثقة المتبادلة وهى تختلف من بلد إلى بلد.

٥- **اللمسة الشاعرية:** تظهر فى الحالات التالية:

- عند إخبار الشخص عن ما يفعل.
- عند طلب المساعدة.
- عند التعاطف مع الآخرين.
- عند إقناع شخص ما.
- عند إعطاء النصائح.

- عند الشعور بالسعادة.

- فى حياتنا الاجتماعية.

* **المصافحة:**

المصافحة بالأيدى تشبه التوقيع؛ لأنها جزء مميز فى شخصية الإنسان وتعبر عن الترحاب سواء فى الترحيب أو الوداع أو الاتفاق ،ولذلك كان النبى ﷺ لا ينزع يده حتى ينزع من يسلم عليه.

١١- كيف تكتشف مشاعر الكذب؟

* الشخص الذى يكذب ولا يقول الحقيقة يفرك أو يضرب أو يحك أنفه، ويقوم بمثل هذه الحركات أكثر من الشخص الذى يقول الحقيقة.

* الشخص الذى يكذب كذبة صغيرة ليس لها نتائج متتالية قد يصالب ذراعيه أو ساقيه بشكل مفاجئ؛ لأنه يريد أن يدافع عن نفسه ضد أى تحدى، وإشارات الأقدام تدل على أنه يريد أن يخرج من هذا المكان.

* لغة الجسم فى الوضع الطبيعى لا تخالف لغة الكلام، وحركة الجسم تعبر أولاً عن النية الفعلية ،فمن الملاحظ فى آخر نصف ساعة يميل ضيوف الندوات إلى الجلوس على طرف الكرسى استعداداً للمغادرة.

عند الكذب: تخالف حركة الجسم حركة الكلام، فالشكل الطبيعى، اليدان متحركتان للتأكيد على ما نقول، فى الكذب تنخفض عدد هذه الإيماءات بشكل ملاحظ؛ لأنهما تتحركان حركات متناقضة مع الكذب

لذلك يضع البعض يده فى جيبه أو يشبكهما، وكل ذلك محاولات لتغطية مشاعر سلبية أو عدوانية.

الأطفال عندما يكذبون يغطون وجوههم كأنهم يخفون مصدر الكذب، والكبار يلمسون وجوههم أو أنفهم أو أذنهم أو ذقنهم، محاولين محو الكذب.

الكاذب ينظر بعينيه إلى أسفل أو إلى مكان بعيد، والعيون المتحركة كثيرًا ما تدل على الخداع والارتباك، ولكن ليس كلها كذبًا ربما هو غير متأكد من مشاعر أو من صحة رأيه.

١٢- من خلطتك بالآخرين أكتشف مشاعرك

* هناك دوائر غير مرئية تحمل المشاعر وهو ما نطلق عليه (أثير المشاعر) والقصة أننا جميعًا نحتاج إلى فراغاتنا، وأحيانًا يمكن قياسها بالسنتيمتر، كل منا له منطقة دائرة حوله كموجات مغناطيسية، المقربة منها للأحبة والأقارب والأصدقاء، والبعيدة للأغراب.

مثل اثنين يتناولان العشاء وأحدهما يعبث فى فراغ الآخر الذى قسمت بطريقة عفوية.

* الإيماءات الدفاعية تقول: (لا تقترب أكثر) مثل:

- تصالب الساقين أو الذراعين بشكل مفاجئ لكى يشكل حاجزًا بينك وبينه.

- العبث بالساعة أو الأساور أو الأوراق أو وضع اليدين على الساق المعاكسة أثناء الجلوس.

الخلاصة:

المكان الذى تقرر الجلوس فيه ليس فقط يدل على مشاعرك وشخصيتك بل يمكن أن يؤثر على مشاعر الآخرين!!

* الجلوس فى مواجهة مباشرة مع شخص آخر تؤدى إلى حالة من ازدراء مشاعر المنافسة مثل مناقشة أو الأكل أو الجلوس فى مقابلة.

ولذلك للتقليل من ذلك اجلس وخلفك جدار وهو إلى نافذة مفتوحة لعدم إشعاره بالمنافسة.

* وأيضًا تشجيع العمل (جنبًا إلى جنب) مهم فى إطلاق الطاقات وأخذ راحة فراغه التى يتحرك فيها بحرية مما يعطى تناولاً جيدًا للأفكار وتعطى الشقة فلا أحدكما يراقب الآخر أو ينظر إلى حركاته بشكل مقصود.

• ملاحظة:

(من أجل تهدئة الجو العام).

سواء كان فى العمل أو فى البيت:

- فإن موضع الكراسى بزوايا قاعدة مثلث مفتوح:
- يساعد على تجنب المشاعر غير الضرورية فى المواجهة التى تتزايد بالجلوس وجهًا لوجه.
- لا شىء مثل الدائرة المستديرة لتبادل أطراف الأحاديث الودية والعلاقات

الاجتماعية، حيث لا هيمنة لأحد مع إشاعة جو من الديمقراطية، وهذه الجلسة تناسب النساء للكلام والحديث.

- إضفاء جو غير رسمى على الاجتماعات مثل الجلوس بين دائرة ومثلث بشكل مفتوح.
- العجيب أن لجوء البعض إلى حماية ظهره يكون بكرسى عالى!!.

١٣- من ملابسك أكتشف مشاعرك

١ - ألوان تثير المشاعر:

- اللون الأزرق: الهدوء (لون السلام).
- اللون الأبيض: الصفاء والبراءة.
- اللون الأسود: مثل الليل الأسود والسحر والشعوذة واتباع الشيطان.

كلها تعبر عن مشاعر سيئة فمن أقوالنا: قلبه أسود، مزاجه أسود.

- اللون الأحمر: إثارة المشاعر (ضغط الدم).

(لون الدم والنار) وسرعة تنفس.

- الأصفر (ضوء الشمس): التعقل والتفكير والأمل والإنتاج والتفاءل والمشاعر الناضجة الجيدة.

- الأخضر: النمو والخصب والبساطة وكره الخراب، وأصحابه اجتماعيون نشيطون فخورون بأنفسهم.

٢- ملابس تؤثر فى الآخرين:

الملابس تتكلم.. نعم فهى تؤثر تأثيرًا مباشرًا فى الآخرين.

١- زيادة العرض: سيطرة وسطوة.

الجينز والسترة: تدل على العمل أو الفن.

- البعض يرتدى فى الإجازات ملابس غير رسمية للرجوع إلى أيام الشباب والتحرر من الرسميات.

وأخيرًا:

هل انتهت قصة المشاعر مع بعض الأشخاص؟

لا لم ولن تنتهى، ومن هؤلاء الأشخاص: الخدم والعامل فى المطعم والبواب وبائع الصحف وعامل القمامة والبائع الجوال والمكوجى وغيرهم فإذا بنا نستقبلهم بملابس رَثَّة وعدم اهتمام ونواصل تصرفاتنا الشخصية وكلامنا وكأن ألغيناهم من دائرة الزمان، وهذا خطأ كبير موروث عن الجاهلية يجب علينا أن نرتفع عنه.

* * *

رابعًا: بيت المشاعر

قد نؤثر في الناس بمشاعرنا وقد يتوفر مجتمع المشاعر، ولكن النجاح مرهون باستمرار هذا المجتمع، وحسن التعامل مع مشاعر الآخرين. وأحسب أنه ينطلق من بيوتنا التى هى أساس المجتمع، وكذلك هى نماؤه وانتماؤه وانطلاقته واستمراره وثباته. وأعنى بالبيت: كل ما يتعلق به ويدور فى فلكه، فالبيت هو: الزوجان والأولاد والأشقَّاء والأقارب والجيران والوالدان، وتعامله حتى مع مظاهر الكون المحيطة به.. وأعنى ببيت المشاعر: كُل ما يتعلق بهذه الدوائر فى إطار المشاعر، وليس الأمر فى بحثنا أن نستفيض فى ذلك، وإنما المقصود أن نسلط عدسة مكبرة على جانب قد ننساه مع الأيام، ولنا فيه رصيد رصين من حياة النبى ﷺ مع هذه الدوائر، وهو قدوتنا وأسوتنا.

وليس معنى ذلك أن بيت المشاعر يختلف عما تحدثنا عنه حول المشاعر المؤثرة فى الآخرين، فكل هذه الدوائر ما هى إلا جزء من الآخرين، ولكن هناك تميز خاص يضاف إلى السابق أردنا أن نكشف عنه النقاب جليًا واضحًا إلى ما سبق.

١- الزوجان والشعور الواحد:

* يتقاسم الزوجان شعورًا واحدًا وإحساسًا متحدًا، فالألم والفرح، والحزن والسرور، واليسر والعسر، والضيق والسعة، والقبض والبسط كل هذه المشاعر هى لحظة واحدة يمر بها الزوجان، وتكون النتيجة أن اللسان

يلهج بالحروف والألفاظ نفسها لتخرج كلمة واحدة فى تعبير واحد عن شعور واحد.

عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة -رضى الله عنها-: وارأساه، فقال النبى ﷺ: «**بل أنا وارأساه**». رواه البخارى.

* ومن وسائل المشاعر المؤثرة والخاصة بين الزوجين استئذان الزوج فى كل صغيرة وكبيرة حتى ولو كانت عبادة تؤثر فى مشاعره أو استقبال أحد فى البيت، إنه السحر الذى تتحرك به الزوجة فى مشاعر زوجها، وإنها لتكبر فى نظره وتقديره واحترامه. عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه**». متفق عليه.

* ومن المحافظة على هذا الشعور الواحد ألا يدخل فى شعورهما غريب خاصة مما يفتح أبوابًا من المشكلات، لذلك نهى النبى ﷺ أن تصف الزوجة امرأة تعرفها لزوجها، عن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها**». متفق عليه.. فكم من مآسى كانت من هذا السبب الذى يعتبره البعض واهيًا لا قيمة له؟!

* ويحرص الزوجان على فراش الزوجية دائمًا، فإن امتزاج المشاعر ثمرته القرب الدائم والالتصاق الجميل، ولتمحى كلمة الرفض، بل يأخذان بكل الأسباب التى تؤدى دائمًا بهما إلى الحياة السعيدة المتجددة، عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى**

فراشه فأبت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». متفق عليه.
فلماذا تخرج ليلة من الزمن القصير، فنحرم فيها من الهناء والبهجة؟!

* وما أعظم حياة الحب بين الزوجين الذى يمتد ويقوى مع الزمن، فهذا هو البيت النبوى وقد تعرض لأعتى المحن ينتصر فيها الحب أخيرًا، فحادثة الإفك التى تعرض لها البيت النبوى دليل ماثل أمامنا للمشاعر بين الزوجين، وكيف تحرك الحب فى المشاعر؟ وكيف انتصر؟.. وذلك حينما سألت عائشة أمها عما يقوله الناس... قالت تصبّرها: يا بنية، هوِّنى عليكِ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها.

فقالت عائشة: سبحان الله!! وقد تحدث الناس بهذا؟! فبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرفأ لها دمع ولا تكتحل بنوم، ثم أصبحت تبكى، تكمل السيدة عائشة.. تقول: ثم دخل علىّ رسول الله ﷺ فسلم وجلس -وذلك لأول مرة منذ بدء محنتها- فتشهد ثم قال: أما بعد.. يا عائشة، فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه.

تقول عائشة- واصفة مشاعرها الحزينة فى أن يتطرق شك النبى ﷺ تجاهها-: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، فقال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ؟! وكذلك قالت أمها، ثم قالت عائشة: إنى

والله ما أجد لى ولكم مثيلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴾ [يوسف: ١٨] ثم تحولت فاضطجعت على فراشها، وهى تعلم أنها بريئة قائلة: (وإن الله مبرئى ببراءتى) ثم قال النبى ﷺ حينما نزلت براءتها: أبشرى يا عائشة، أما الله فقد برأك، فقالت لها أمها: قومى إليه، قالت: لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذى برأنى فأنزل الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ...** ﴾ [النور: ١١].

الوقفة الأولى: هذا رسول الله ﷺ الزوج الصالح يسأل هذا وهذا ولم يتخذ قرارًا انفعاليًا، فالحب يصنع المعجزات، فأخذ يستشير أقاربه وأصحابه القريبين بل والناس فى المسجد.

الوقفة الثانية: انقطاع الوحى لمدة شهر ترك مجالاً للمشاعر، وهذا هو الامتحان الإلهى للحب، وذلك لنرى كيف يصنع الحب بمشاعر الزوجين، فمع بكاء عائشة وإحجام الأب عن الرد على رسول الله ﷺ فقد نست اسم يعقوب قائلة: كما قال أبو يوسف: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴾.

الوقفة الثالثة: فى قول النبى ﷺ: أبشرى يا عائشة، وقد حمل البشرى والسرور بذلك والفرح به، ثم دلال أم المؤمنين عائشة فى عدم قيامها لرسول الله ﷺ وهو دلال شعورى جاء فى تعبير صامت تفهَّمه النبى ﷺ ولم يقف عنده حينما تقول: «والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله هو

الذى برأنى» وهذا كله من ألوان الحب بين الزوجين، فالمشاعر تتأجج، ولا ينتصر فى النهاية إلا الحب، الذى يرفرف من جديد فى بيت المشاعر.

* ومن جمال طرق المشاعر الزوجية، ولمس جوانب السحر منها، أن تكون الزوجة دائما فى بؤرة اهتمام الزوج، فهو فى سفره دائم الاتصال بزوجته للاطمئنان، ولا يكبت مشاعره فى أنه يريد أن يتعجل أمره وأن يسرع بالعودة من أجل الراحة مع زوجته، بعد وعثاء السفر وتعبه، فالآلام تمسح عنه بلمسة يدها، والعذاب يختفى برؤيتها، والراحة الكاملة تبدأ بالوصول إلى البيت، وتأمل معى ما رواه أبو هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب؛ يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله**». متفق عليه.

* فإذا غاب الزوج لأى سبب من الأسباب وطالت به الأيام، فمن اللمسات السحرية كذلك أن يُعْلِم الزوج الزوجة بموعد حضوره، ولا يأتيها فجأة، حتى تستعد له، وتحسن استقباله بما يليق بعد طول الغيبة ووحشة الغياب عن جابر -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً**». متفق عليه.

* والمشاعر تتحرك بالصوت الهامس، واللمس الدافئ، والزينة المبهرة، والتهيؤ الجميل، وخيط هذه المشاعر فى يد الزوجين، فكما أن الزوجة لا تصوم إلا بإذن زوجها، حتى لا ينقطع لقاء المشاعر عند الرغبة، كذلك الزوج فى يده تحريك الخيوط التى تؤثر فى مشاعر الزوجة، وبالطبع ليس معنى ذلك أن الزوجين غارقان ليل نهار فى هذا المناخ، وإنما فى توازن

الإسلام ووسطيه تعـاليمه، بإعطاء كل ذى حق حقه، وهذا يبـدو واضحًا من خلال هذا المشهد القصير وما فيـه من معانى عظيمة: عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله -رضى الله عنه- قال: آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء -رضى الله عنهـمـا- فـزار سـلمـان أبا الدرداء فـرأى أم الدرداء متـبذلة، فقال: مـا شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حـاجة فى الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًـا فقال له: كُلّ فإنى صائم، قال: مـا أنا بآكل حـتى تأكل فأكل، فلـما كـان الليل ذهب أبو الدرداء يقـوم (يصلى) فـقال له: نم، فلمـا كان من آخـر الليل قال سلمـان: قم الآن، فصليا جمـيعًا، فقال: سلمان: إن لربك عليك حـقاً، وإن لنفسك عليك حقـاً، ولأهلك عليك حـقاً، فأعط كلّ ذى حـق حقه. فـأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال النبى ﷺ: «**صدق سلمان**». رواه البخارى.

* وهذه همسة نبوية فى أذن الأزواج، وهم يخاطبون مشاعرهم عندما يرون ما يكرهون مـن زوجاتهم، هل ينفعلون؟ هل ترتـفع أصواتهم؟ هل تمتلأ مشاعرهم بالكراهية؟ هل ينتـقمون؟ هل ييأسون من زوجاتهم؟ هذه الهمسة النبوية تأتى تقول للأزواج: نعم هذا خلق أكرهه فى زوجتى ولكن فيها أخلاق كثيرة حميدة، فهى كذا وكذا وكذا، وهنا تتحول مشاعر الكره إلى مشاعر الحب والمودة، وبالتالى نستطيع أن نضـبط مشاعرنا وأن نجعلها دائمًا تسيـر فى اتجاه الحب والرحمة والجـمال، عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال النبى ﷺ: «**لا يفـرك مؤمن مـؤمنة إن كره مـنها خلق رضى منهـا آخر**». رواه مسلم.

تذكر:

١- يتقاسم الزوجان شعورًا واحدًا وإحساسًا متحدًا، فحياتهما لحظة واحدة يمران بها.

٢- من وسائل المشاعر المؤثرة أن تستأذن الزوجة زوجها لتكبر فى تقديره.

٣- يحافظان على أن لا يدخل فى شعورهما ومشاعرهما غريب، حتى ولو كان بالوصف.

٤- يحرصان على فراش الزوجية فثمرة امتزاج المشاعر القرب الدائم والالتصاق الجميل.

٥- حياة الحب مع الزوجين يقوى مع الزمن ويجعلها منتصرة دائمًا.

٦- لا يتخذ الزوج قرارًا إنفعاليّاً بل يتريَّث ويستشير فالحب يصنع المعجزات.

٧- للزوجين أن يمارسا ألوان الحب المختلفة والمبادرة بالبشارة والفرح والسرور.

٨- من السحر أن يكون الزوج فى بؤرة شعور زوجته فى السفر والإقامة.

٩- المشاعر تتحرك بالصوت الهامس، واللمس الدافئ، والزينة المبهرة، وهذا واجب الزوجين.

١٠- على الزوجين ضبط مشاعرهما بحيث تسير دائمًا فى اتجاه الحب والرحمة والجمال.

٢- الوالدان ومشاعر الأبناء:

* هموم العمل وأعباء الحياة على الوالدين قد تسبب انفجارًا فى البيت، خاصة بالدعاء على أنفسهم أو على أولادهم أو أعمالهم أو أموالهم، وقد نهى عن ذلك رسول الله ﷺ؛ لما فيه من انفعالات قد تؤثر بسكينة المشاعر، والأسوأ من ذلك أنها قد توافق ساعة إجابة فيستجيب الله للدعاء، فيندم الوالدان على فلذات أكبادهما أو أعمالهما التى يكدون فيها، عن جابر -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**». رواه مسلم.

* ومن أعظم ما يؤثر فى مشاعر الأبناء، ويزرع الحب بينهم. العدل بين الأولاد، والسوية بينهم فى البر، عن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما- أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال إنى نحلت (وهبت) ابنى غلامًا كان لى، فقال رسول الله ﷺ: «**أكل ولدك نحلته مثل هذا؟**» فقال: لا فقال رسول الله ﷺ: «**فأرجعه**» وفى رواية «**أيسرُّك أن يكونوا إليك فى البر سواء**» قال: بلى، قال: «**فلا إذًا**». متفق عليه.

* وليكن الوالدان فى شعور الأبناء فلابد أن يرحبوا بهم، ولا يكتموا مشاعرهم فى الترحيب، والاهتمام بهم، وإظهار الاحترام بتميزهم فى التجمعات الأسرية، والحديث معهم بصورة خاصة، وجعلهم موضع الأسرار، كل ذلك يجعلهم فى راحة شعورية وسط أعباء الحياة، وهذا ما كان يفعله النبى ﷺ مع فاطمة -رضى الله عنها- عن عائشة -رضى الله

عنها- قالت: كنّ أزواج النبى ﷺ عنده فأقبلت فاطمة -رضى الله عنها- تمشى ما تخطىء مشيتها من مشية النبى رسول الله ﷺ شيئًا فلما رآها:

١- رحب بها وقال: «**مرحبًا بابنتى**».

٢- ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله.

٣- ثم سارّها فبكت بكاءً شديدًا.

٤- فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت.

٥- فقلت لها: خصّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسّرار ثم أنت تبكين!!

٦- فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشى على رسول الله ﷺ سرّه.

فلما توفى رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لى عليك من الحق لما حدثتنى ما قال لك رسول الله ﷺ، «فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارّنى فى المرة الأولى فأخبرنى «أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين وإنى لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقى الله واصبرى، فإنه نعم السلف أنا لك»، فبكيت بكائى الذى رأيت.

فلما رأى جزعى سارّنى الثانية فقال: «**يا فاطمة، أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ فضحكت ضحكى الذى رأيت**».
متفق عليه.

* ومهما كانت الحالة الاقتصادية، فمجال المشاعر مع الأبناء له أثر بالغ، بغض النظر عما يقدم إليهم، لأن ما يقدم للأبناء ليست فى قيمته

المالية، بقدر ما هو مقدم من الأب أو من الأم، فالقيمة الحقيقية تكون فى كلمة الوالدين أو لمستهما أو همستهما، إنه الحنان والحب والدفء الذى هو بحر المشاعر الذى لا ينضب، يقول النبى ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة**»: -منهم- "**وعفيف متعف ذو عيال**"». رواه مسلم.

عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبنى شأنها، فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «**إن الله أوجب لها بها الجنة**». رواه مسلم.

إن الله يوجب للوالدين الجنة إذا شعرا بما فى مشاعر أبنائهما من لذة أو حلاوة أو راحة وعملا على تنفيذ ذلك.

تذكر:

١- الابتعاد عن الانفعالات التى تؤثر بالسلبية فى مشاعر الأبناء مثل الدعاء عليهم.

٢- العدل بين الأبناء والسوية بينهم فى البر يزرع الحب ويؤثر فى مشاعرهم.

٣- عدم كتمان مشاعر الأبوة من الترحيب والاهتمام والاحترام ومصادقتهم.

٤- الحرص على مخاطبة المشاعر من كلمة أو لمسة أو همسة يضفى جواً من الحنان والحب.

٣- مع مشاعر الأقارب:

عن عبادة بن الصـامت -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: « **ما على الأرض مسلم يدعو الله -تعالى- بدعوة إلا أتاه الله إياها، أو صرف عنه السوء مثلها، ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم**، فقال رجل من القوم: إذًا نكثر! قال: **الله أكثر**»، فمن قطع صلته بأقاربه عطّل دعاءه لله -تعالى- إذ إن دعاءه مرهون بصلته بأقاربه ووده لهم، وهذه جولة مع مشاعر الأقارب:

*** مراعاتهم الدائمة:**

لما تبرع أبو طلحة بأحب أرض إليه عندما نزل قوله تعالى: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ قال له النبى ﷺ: «**ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، [وإنى أرى] أن تجعلها فى الأقربين**»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه. متفق عليه.

الوقفة الأولى: قول النبى ﷺ: (وإنى أرى) فليس بالإكراه فقد أنفق الرجل مما يحب بل أحب شىء إليه طواعية بها نفسه.

الوقفة الثانية: قول النبى ﷺ: (أن تجعلها فى الأقربين) فدل ذلك الرأى النبوى الرشيد على أهمية مراعاة الأقارب وأنهم أولى بالأشياء الثمينة ذات القيمة العالية.

الوقفة الثالثة: أن الأمر ليس بالمراعاة المالية فحسب بل بكل أنواع المراعاة، والمعيار فقط (مما تحبون) أى: بالغالى والحبيب إلى النفس من كل نوع فى رعاية وتودد وصلة قوية: مالية، أو اجتماعية، أو أسرية، أو...

* ومن مراعاتهم الدائمة أن تسأل عنهم، وأن تصلهم، وأن تحسن إليهم وتحلم عنهم، وإن كانوا هم على العكس من ذلك، عن أبى هريرة - رضى الله عنه- أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلىَّ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ فقال: **«لئن كان حقاً كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ، ولايزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»** [المل: الرماد الحار من إثمهم]. رواه مسلم.

حتى مع هؤلاء الذين صنعوا جدارًا سميكًا حول مشاعرهم فلا يتأثرون بشىء! حتى مع هؤلاء الذين صنعوا كثافة حول مشاعرهم فحجبتهم عن مشاعر أقرب الناس إليهم! حتى مع هؤلاء الذين تبلدت مشاعرهم فلا حرارة تسرى فيها! فماذا أنت فاعل معهم؟! نعم أنت تتحرك بمشاعرك الرقيقة الدافئة الناعمة الهادئة المؤثرة.

- يقاطعونك وأنت تصلهم وتسأل عنهم وتشاركهم أفراحهم وأتراحهم.
- يحرمونك وأنت تعطيهم وتجزل لهم العطاء.
- يسيئون إليك وأنت تحسن إليهم وتمد إليهم أيادى الخير والمعاونة.
- وتحلم عنهم وربما يزدادون من الإساءة والإيذاء.

والنبى ﷺ سمى ذلك (كأنك تسفهم المل) فهل يتأثرون بهذه النار المنبعثة من إثمهم فى المقاطعة والحرمان والإساءة؟! أنى لهذه الجدران وهذه الكثبان التى صنعوها حول مشاعرهم أن تتأثر!! وأنى لتلك الكثافات وهذه الأسوار العالية وتلك الحجب السميكة أن تتأثر!! يكفيك أن معك

من الله ظهير ما دمت على ذلك.. فالدوام على ذلك بعون من الله تعالى.. لابد أن ترق له المشاعر الكثيفة، ولابد أن تنفذ إلى مشاعرهم يومًا ما.. رغم هذه الجدران السميكة.. وما ذلك إلا بدوامك أنت أولاً ثم عون الله إذا رأى منك إقبالاً وصدقًا ووصلاً وإحسانًا وحلمًا وخيرًا، وصدق النبى ﷺ: «**ومازال معك من الله ظهير مادمت على ذلك**».

*** المشاركات المعتدلة:**

المشاركة فى الأفراح والأحزان وفق ما أمر الشرع وعدم الخروج عن أمره، وهذا هو الاعتدال، فالمشاركة مطلوبة بأى حال، فإن اصطدم الأمر بالشرع فليس الأمر لعدم المشاركة ولكن لمقاطعة ما نهى عنه الإسلام كحفل راقص، أو دعوة فيها اختلاط سيئ، أو مأتم فيه عادات سيئة مثل ارتداء السواد، أو لطم الخدود أو طول أيام الحداد، وهذا ما حدا بأم المؤمنين زينب بنت جحش -رضى الله عنها- حين تُوفى أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت: أما والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا**». متفق عليه.

فلا ننسى أبدًا المشاركات العائلية، وطرقها اليوم متوفرة وميسرة وسهلة من ورود المناسبات، أو برقيات التهنئة، أو الهاتف، أو هدايا، أو بالحضور وهو تاج المشاركات، فإن كان هناك إثم واضح فإن انسحابك الرقيق واعتذارك الجميل بترك رسالة أجمل وأروع من عدم المشاركة أساسًا.

تذكر:

١- مراعاة الأقــارب بالأشياء الثمــينة ذات القيمة العــالية، وليس بالواهن الضعيف.

٢- ليست المراعاة فى الأمور المالية فــحسب بل بكل أنواع المراعاة بالغالى والحبيب إلى النفس من كل نوع فيه رعاية.

٣- السؤال عنهم والإحسان إليهم والحلم عنهم وإن كانوا هم على عكس ذلك.

٤- المشاركة فى الأفراح والأحزان وفق ما أمر الشرع وهذا هو الاعتدال.

٥- من صور المشــاركة ورود المناسبات أو البــرقيات للتهنئــة أو الهاتف أو بالحضور وهو تاج المشاركات.

٦- إن دعيت إلى حــفل فيه إثم فإن انســحابك الرقيق واعتــذارك الجميل أجمل من عدم المشاركة.

٤- مراعاة أصدقاء الأقارب:

* أجيال العائلات يسلم بعضهــا بعضًا، وليس انتهاء جيل بموته يكون سببًا فى عدم ود أصدقاء هذا الجيل، فمن الوفاء امتداد هذا الود واتصاله، وإنها لــلمسة رقــيقــة تؤثر فى المشاعــر، فى الحديث المتــفق عليه مــراعاة أصدقاء خديجة -رضى الله عنها- حتى إن عائشة تقول: كأن لم يكن فى الدنيا إلا خــديجة، فــيقــول: إنها كانــت وكانت -وكان لى منــها ولد-

وعندما استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «**اللهم هالة بنت خويلد**».

ما أعظم هذا اللقاء الرقيق الذى يذكر رسول الله ﷺ باستئذان خديجة (فيرتاح) كما تقول أم المؤمنين عائشة، ما أحوجنا إلى أن تعيش مشاعرنا هذا الارتياح الساحر، وأى وفاء نفذ فى مشاعر هالة أخت خديجة والنبى ينطلق بلسانه مرحبًا فى فرحة مخلوطة بالراحة: (**اللهم هالة بنت خويلد**).

* بل الأمر امتد إلى الأبناء بأن يعطى كل ما تملكه يداه ترحيبًا بأصدقاء أبيه، يحكى عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله بن عمر وأركبه الحمار وأعطاه عمامته، قال ابن دينار: قال الناس: أصلحك الله، إنهم من الأعراب وهم يرضون باليسير، فقال عبدالله بن عمر: إن هذا كان ودًا لعمر بن الخطاب وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الرجل أهل ودِّ أبيه**». إنه الامتداد الشعورى لأصدقاء الابن أو الأخ أو الأب أو الزوجة أو الأم أو الجد... أو جميع الأقارب.

تذكر:

١- من الوفاء امتداد الود لأصدقاء الأقارب، وهى لمسة رقيقة مؤثرة تؤثر فى مشاعرهم.

٢- من الوفاء الارتياح عند رؤيتهم أو لقائهم أو التحدث معهم.

٣- من الوفاء منحهم مما تملك ترحيبًا بهم وصلة للود الذى كان.

٥- بيت ينسجم مع الكون:

هل للكون مشاعر؟ وهل للحيوانات التى تعيش فى بعض بيوتنا مشاعر؟ وهل للطيور التى نربيها مشاعر؟ وهل للريح مشاعر؟ والشمس والقمر والليل والنهار والبحار والأنهار والجداول والحدائق والزهور والمطر؟ إن الامتزاج الشعورى بين الإنسان وبين المخلوقات هو الطريق إلى الإيمان؛ إذ إننا ننفذ به إلى مكوِّن هذه المخلوقات ونتعرف على قدرته فى الخلق والإبداع، فنقول: سبحان الله، فلا نلعن ولا نسب ولا نشتم هذه المخلوقات، وهذا الكون البديع الذى هو صفحة مفتوحة للإيمان والتأثر بالخالق المبدع -عز وجل-، وبيوتنا هى مادة هذه الحياة الشاعرية الرحيمة الأنيقة بما تحوى من كائنات مختلفة، ولما تتعرض له من مظاهر الكون من ريح ومطر، وكذلك ما يصاب به الناس من أسقام وأمراض وأقدار مختلفة، وهذه جولة مع رسول الله ﷺ حول هذه المعانى:

* عن أبى المنذر أُبى بن كعب قول النبى ﷺ: «**لا تسبوا الريح**». حديث حسن صحيح.

* عندما دخل النبى ﷺ على أم السائب وهى ترتعد من الحمى قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال النبى ﷺ: «**لا تسبى الحمى؛ فإنها تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد**». رواه مسلم.

* عن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحُمَّرة

فجـعلت تعرش، فـجاء النبى ﷺ فـقال: «**من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها**». . ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: «**من فعل هذه؟**» قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبـغى أن يعـذب بالنار إلا رب النار**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

* ولا يتوقف الأمر فى بيت المشاعر مع الأحـياء ومظاهر الكون فحسب بل حتى مع الأمـوات، تروى عائشة -رضى الله عنهـا- أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**». رواه البخارى.

فأى تأثير فى مشاعر الناس وأنت تحترم مشاعر أمواتهم فقد أفضوا إلى ما قدموا.

تذكر:

١- لا تسب ولا تلعن ولا تشتم الحـيوانات الأليفة التى تعـيش فى بيوتنا وحدائقها.

٢- لا تسب ولا تلعن الريح أو مـظاهر الكون التى تتـعرض لهـا بيـوتنا كالمطر أو الحر.

٣- لا تسب الأسقام والأمـراض والأقدار إن هاجمت بيوتنـا فهى طهارة للبيوت.

٤- لا تسب أمواتًا كانوا يعيشون فى البيت فقد أفضوا إلى ما قدموا.

٦- مع مشاعر أصدقاء البيت:

كما أن للآباء والأمهات أصدقاء، كذلك للأبناء أصدقاء وصديقات، وقد أوصى الله بالصاحب المرافق لك فى الـعمل أو الدراسة أو التجـارة أو حتى

رفقة السفر أو المواصلات، وسماه القرآن الكريم: ﴿**الصاحب بالجنب**﴾ قال الإمام الطبرى فى تفسيره: هو الرفيق فى السفر أو المرأة أو المنقطع إلى الرجل الذى يلازمه رجاء نفعه؛ لأن كلهم بجنب الذى هو معه وقريب منه، وقد أوصى الله -تعالى- بجميعهم لوجوب حق الصاحب على المصحوب.

فأى رابطة حينما تكون الوصية لأفراد المجتمع مع من يلازمه ويجاوره ولو لم يعرفه؟! وينسحب ذلك على نزلاء الفنادق والمستشفيات وملاعب الكرة والسجناء والأفراح والمآتم والمطاعم وكثيرًا ما نسمع: (أن فلانًا خرج عن شعوره) لماذا؟ والإسلام لم يوص بذلك إلا لتقوية الرابطة فى المجتمع وإشاعة النفع فيه، والتعاون على البر والتقوى، والتعارف حتى ولو كان ذلك ساعة من نهار، وهذا نهج النبى ﷺ حدثنا سهل بن موسى: أن رسول الله ﷺ كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين فدخل النبى ﷺ فى غيضة طرفاء: فقطع قصيلين -القصيل: عود ذو رائحة طيبة ينبت فى الصحراء- أحدهما معوج والآخر معتدل فخرج بهما فأعطى صاحبه المعتدل وأخذ لنفسه المعوج، فقال الرجل: يا رسول الله -بأبى أنت وأمى- أنت أحق بالمعتدل منى! فقال: «**كلا يا فلان، إن كل صاحب يصحب صاحبًا مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار**». أورده ابن جرير فى تفسيره.

الوقفة الأولى: أن النبى ﷺ امتلك على شعوره أنهما اثنان وليس واحدًا، وهذا يدلنا على يقظة شعورنا بمن حولنا، فليس أحدنا فى الكون وحده، فلا يرى أحدنا معه أحدًا أو بجواره، أصحاب الشعور السميك يصنعون كثافة ضخمة وجدارًا منيعًا يحجب عنهم رؤية من حولهم،

فالنبى ﷺ عندما دخل الغيضـة قطع قصيلين وليس واحدًا فقط، دون أن يطلب الرجل أو يدخل معه.

أذكر أنه كان بجوارى فى الصف الأول الثانوى بمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية طالب اسمـه مجدى سعيـد، هو صيدلى الآن، كان مـوقفه مؤثرًا فى شـعورى حـتى اللحظة، وربما غَيَّـر من مسـيرة سلوكى حـينما دعانى للصـلاة بمسجد المدرسـة، فلما اعـتذرت أخرج من شنطتـه فوطة جديدة قـائلا لى: جئت بها خـصيصًـا لك فاقبلها مـنى هدية، وبالفعل فمازلت معهم فى أنشطة المسجد، حـتى اختارونى آخر العام أمينًا للنشاط المسجدى بالمدرسة.. كم يكون الموقف الشعـورى مؤثرًا حينما تشعر أنك لست وحدك فى هذا الوجود!!

الوقفة الثانية:

دائمًا ما يتشاجر المتجاوران والسبب يكون واهيًا وضعيفًا ولا يرقى إلى أن يكون سببًا، ويرجع ذلك إلى إيثار الـرجل لنفسه بالأفضل والأحسن، حتى ولو كـانوا فى طابور لتنظيم أى عمـل أو أى حاجة من الحـاجات، وتأتى كلمة: (اشـمعنى فلان، مش كلنا ولاد تسـعة) وهذا هو النبى ﷺ يضع القاعدة النبـوية الشعورية بأن أعطى الرجل القصيل المعـتدل واحتفظ هو بالمعوج، حتى أن الرجل قال: أنت أحق بالمعتدل منى.

الوقفة الثالثة.

شعورنا بالصحـبة ومسؤوليتها يجب أن يتحـقق ولو ساعة من نهار.. فمـا بالك بمن يجاورك أيامًا أو شهـورًا أو أعوامًا؟! إنه السمـو والارتقاء الجميل، حينما تسرى النسائم فى مجتمع طاهر:

يتعامل بالمشاعر لا بكسب الجولات والمواقف.

يتعامل بالرفق -الرُّفقة من الرفق- لا بالمصارعة والملاكمة.

يتعامل بالتنافس فى الخيرات الدائمات لا بالصراع فى المهملات الزائلات.

وفى هذا يقول الشاعر:

يصدُّ الشمس أنىَّ واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم

وواجب البيت هنا أن يحث على هذا المعنى أفراده وهم يتعاملون مع المجتمع، وتقوى بعدها الرابطة بالزيارات العائلية واللقاءات الأسرية، والتقاء المناسبات، والمشاركة فى كل الأحوال وتلبية الدعوات.

تذكر:

١- مراعاة أصدقاء الأبناء والبنات أو العمل على الترحيب بهم والسؤال عنهم.

٢- أصدقاء البيت كل من لازم أحد أفراد البيت ولو ساعة من نهار كالفنادق والمستشفيات والملاعب والأفراح والمطاعم والنوادى والسجناء.

٣-ليس البيت وحده فى هذا الكون، فلابد من مراعاة من حوله من جيران وأصدقاء.

٤- المراعاة تكون بالأفضل وإيثارهم بالجيد والأحسن والأجمل.

٥- التعامل بكسب المشاعر لا بكسب الجولات، بالرفق وليس المصارعة.

٦- من صور المشاركات اللقاءات والزيارات واجتماع المناسبات وتلبية الدعوات.

خامسًا: كيف تكون دائمًا فى بؤرة شعور الناس؟

كثيرًا ما نسمع هذه الأقوال يرددها الناس: (لقد أصبته بنكسة شعورية) وآخر يقول: (لابد أن نرفع من مشاعر الناس) وثالث يقول: (إن شعوره اليوم فى أسمى درجاته)، وغير ذلك من الأقوال كثير، يرددها الناس فى يومهم، فهل هناك (علم للمشاعر) نستطيع به امتلاك مشاعر الآخرين ودفعهم نحو الإيجابية والعمل النافع لأنفسهم وللمجتمع؟ وهل هناك مراحل للشعور ودرجات نستطيع بها أن نهيئ الإنسان إلى السمو والأعلى؟ ثم إذا تفهمنا ذلك يأتى سؤالنا: كيف تكون دائمًا فى بؤرة شعور الناس؟ وهل للبؤرة شعور أصلاً يتذكرنا بها الناس، ونكون دائمًا فى أذهانهم ومخيلاتهم؟ لعلنا فى السطور القادمة نستطيع أن نجيب عن هذه التساؤلات ونكون قد فتحنا الباب لأعظم تعامل بين الناس بأحاسيسهم ومشاعرهم.. فهل توافقنى؟!

أولاً: مراحل الشعور:

وهى ثلاث مراحل متداخلة فى تناغم جميل لا نستطيع أن نفصل بينهم، يتحرك الإنسان خلالهم بكيانه البشرى الذى كرَّمه الله به من عقل وقلب وحركة، أو فكر ووجدان وعمل، أو إدراك وحب ورحمة، إنها جنة على الأرض فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، جعلها الله لمن اصطفاه من أهل النقاء والطهر والتقى، وهى فى

الوقت نفسه بشارة لأهل الخلد فى الجنات فى الدنيا قبل الآخرة؛ لأنها عاجل بشرى المؤمن.

المرحلة الأولى: إدراك وتدبر

عقب النظر فى الأشياء أو التأمل فى المخلوقات يعمل العقل وينشط ويصل إلى لُب وحقيقة الشيء وجوهره، وبذلك يستطيع أحدنا أن يلتقط المعنى الدفين ويصل إلى الحكمة المستترة، وهذا ما يسمى (بالإدراك والتدبر) فالكل ينظر إلى الزهور، ولكن من يدرك الوردة ويتدبر جمالها وحسنها؟! وكذلك البحر والنهر والسماء والأشجار والليل والنهار والشمس والقمر، والإنسان أخص ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾، إن هذه المرحلة هى الباب الذى إن فُتح استطاع الإنسان أن يدخل فى سهولة، وما بعده كان أيسر عليه.

المرحلة الثانية: الحب والوجدان

إن مجرد دخولك من الباب تنشأ علاقة بينك وبين جوهر الشيء فى لغة خاصة وخطاب خاص، فأنت لا تخاطب البحر كمياه تتحرك وأمواج متلاطمة، وإنما تخاطبه ككيان امتزج بك، تحبه وتعشقه، ويحمل همّك وفرحك، وتخاطبه بقلبك، وربما يعتريك بكاء وحزن أو سرور وبهجة وغير ذلك من الانفعالات القلبية، وهنا تكن كمن دخل بالفعل فى صندوق الشعور.. وتظهر هنا علامات الحب والشفقة والرحمة والاحترام والإكبار والإجلال وكلها من المؤثرات النافذة فى مشاعره.

المرحلة الثالثة: السلوك والعمل

وهذه المرحلة هى ثمرة إقامتك فى شعور الآخرين، ونتيجة سعيك وجهدك وحبك وعواطفك، بأن يتحول الكلام إلى عمل، والقول إلى سلوك، وهنا تكون الإجابات على التساؤلات السابقة، فإما سلوك يرفع من شأن الشعور ويدفعه فى إيجابية إلى سعادته وسروره، وإما أن يجرح الشعور بجرح نافذ لا يلتئم عبر الزمن، ويؤثر فى المجتمع بإشاعة التفكك والبغضاء والكره.

حقًا إنه عالم عجيب من عالم الشعور، وما أحوجنا إلى أن نجتاز هذا العالم ونعبره لنصل إلى أحلى حياة وأسعد معاملة وأبهج وجود، وهو ليس خيالاً وإنما هى حقيقة تحركت فى جيل أوائلنا، ولكننا طمسناها بإهمالنا لها وعدم كشف النقاب عنها، مع بساطتها ويسرها ومرونتها، ومرورنا عليها ليلاً ونهارًا، فهى ليست بالأمر الجديد، وإنما هى محاولة، مثل من أزال التراب عن كنز كلنا نعرف مكانه ونحفظ محتوياته وندرك ما فيه.

* وتأمل معى هذا المشهد القصير لرسول الله ﷺ مع هذا الجيل الأول، وتظهر فيه هذه المراحل بوضوح وجلاء، عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:

١- **«لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**.

٢- فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعُطاها.

٣- فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها.

فقال: «**أين على بن أبى طالب؟**» فقيل: يا رسول الله، إنه يشتكى عينيه قال: فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع.

الموقف الأول:

إنهم فى (خيبر) أى: فى معركة وحرب ومع اليهود الملاعين، والذى يُعطى الراية يكون فى المقدمة وعلى رأس الجيش، أى: هو أول من يقتل فى المعركة، ولكن المتأمل والمتدبر والمدرك لا ينظر إلى الراية بهذا المعنى فحسب، إنه يدرك أن النصر والفتح سيكون من الله على يديه، وهو يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وكل ذلك فى المجتمع الإيمانى قمم من الدرجات والسمو لأصحابها، لا يدركها ولا يعرف قيمتها أصحاب المجتمعات المادية، فهم ربما يسخرون من هؤلاء الذين يقدمون أرواحهم فى سبيل أمور غير محسوسة، ولذلك فالمجتمع المادى القرشى رصد مائة ناقة لمن يأتى بمحمد ﷺ فى الهجرة، فأسرع سراقة لا يدرك إلا الحصول على هذه الجائزة الكبرى، ومع تحقيقه ﷺ لأهداف كثيرة أوردتها كتب السيرة، فمقصودنا هنا كيف خاطب النبى ﷺ مشاعر سراقة؟ حتى تأثر سراقة بعفو النبى ﷺ والذى أشفعه بما يدركه سراقة نفسه من أمر مادى يفوق بكثير جائزة قريش إنها (سوارى كسرى)، ويتحقق ذلك بالفعل فى عهد عمر بن الخطاب حينما فتحت المدائن وقال: أين سراقة؟ وارتدى سوارى كسرى فى يديه.

الموقف الثانى:

مرحلة الحب والوجدان، تظهر حينما بات الناس جميعهم، دون أن يعرفوا طعمًا للنوم من كثرة شغفهم وانشغالهم وحبهم، أيهم يُعطى الراية، حتى من ولعهم بالأمر عندما سمى النبى ﷺ عليًّ بن أبى طالب، قالوا جميعًا: هو يشتكى عينيه!! فمازال ما بيتوه طيلة ليلهم فى مشاعرهم حتى ظن كل واحد منهم أنه أحق بالراية من غيره.

الموقف الثالث:

مرحلة السلوك والعمل: فمجرد أن انشق الصباح وذهب ليلهم المهموم (غدوا على رسول الله ﷺ) أى: مبكرين وفى سباق، ولا تحمل مشاعرهم إلا حقيقة واحدة هى حمل الراية، يقول الراوى: (غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها).. لقد ترجموا وجدانهم إلى عمل، وعواطفهم إلى سلوك، فما ترددوا عن نيل شرف حمل الراية فى يوم المعركة مع اليهود، والتى كانت آخر معاقلهم فهل تعود الأمة إلى مشاعر الجيل الأول ونردد فى عمل:

خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد بدأ يعود.. جيش محمد هنا موجود.

ثانيًا: صندوق المشاعر:

كثيرًا ما نتأثر فى حياتنا بمواقف وأحداث وكلمات فتكمن فى مشاعرنا وكما يقولون: تظل محفورة فى مشاعرنا لا ننساها، فأين تذهب هذه

المشـاعـر؟ وأين تُحـفظ؟ وإلى مـتى تُحـفظ؟ وقـبل أن نجـيب عن هذه التسـاؤلات اسمحوا لى أن نـستعيـد العلاقة بين الذهن والشـعور، وهى علاقة مخلوطة وممتزجة لا تكاد أن تفـرق بينهما، فكل ما تأثرنا به يلتقطه الذهن كـأداة تصوير، ويظل عـالقًا بدرجة تـأثيره فينا أولاً: فـى الذاكرة القصيرة المدى ثم ينتقل ثانيًـا تدريجيًا فى الذاكرة الطويلة المدى حيث يتم التخزين والحـفظ فيما نطلق علـيه «صندوق المشاعر» أو «خزيـنة الشعور» وأسماه الشـيخ الشعراوى «حاشـية الشعور». . وهى تفتح وتغلـق تلقائيًا ومفتاحها هو الإنسان نفســه، فحينما ينشط الذهن بالمرور بالظروف نفسها والأحوال نفـسهـا، أو تذكر الشـخص نفســه أو المكان نفســه، هناك يتم استدعاء المشاعر نفســها من فرح أو حزن أو أمل أو يأس أو ضيق أو سعة من صندوق المشاعر فى حـركة سريعة غير مرصـودة من مرورها السريع، وعند انتهاء الموقف الشعورى تحفظ مرة أخرى فى الصندوق تدريجيًا فيقل تأثيرها وهى فى القصيـرة المدى، ثم يختفى أثرها فى الطويلة المدى، وإن لم تختف هى لأنها أصبحت محفوظة فى «صندوق المشاعر».

* وقد سبق ذكر الرجل الذى جاء إلى رسول الله ﷺ فى بداية الدعوة بمكة وقال: إنى مـتبعك فـقال له النبى ﷺ: «**إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالى وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى**»، فجعل الرجل يتسمع الأخـبار حتى قدم النبى ﷺ المدينة، فـذهب إلى المدينة ودخل علـى رسول الله ﷺ فـقـال: يا رسـول الله، أتعرفنى؟ قال: «**نعم أنت الذى لقيتنى بمكة**».

إن مجرد رؤية الشخص نفسه لرسول الله ﷺ تذكر هذا الموقف الشعورى حينما ردّه النبى قائلاً: ألا ترى حالى وحال الناس؟ وطلب منه أن يأتيه حين ظهوره، ولم يحدد له تاريخًا أو مكانًا!!والنبى فى بداية الدعوة وهو أشد ما يكون حاجة إلى الأتباع والرجال، أين ذهب هذا الموقف الشعورى من يوم مكة؟ حتى إن الرجل سأل النبى ﷺ: أتعرفنى قال: **«نعم، أنت الذى لقيتنى بمكة»**.

ثالثًا: بؤرة المشاعر:

وهذا هو سؤالنا المطروح: كيف تكون دائمًا فى بؤرة شعور الناس؟ وهل للمشاعر بؤرة؟ وما المقصود بها؟ هذه ليست ألغازًا ولكنها أصبحت الآن مفهومة بعد أن قطعنا شوطًا فى مراحل الشعور وتعرفنا على صندوق المشاعر، فالمشاعر المستدعاة من هذا الصندوق أين تظهر؟ وأين تستقر؟ . . تظهر عند الاستدعاء فيما يسمى(بؤرة المشاعر)، وهى كالباب الخارجى للصندوق لا يستقر فيه إلا موقف شعورى واحد، سواء التقطه الذهن أو استدعاه من الصندوق، ومعنى ذلك إذا تأثرت بكلمة شعورية أو حركة شعورية كهدية أو وردة أو رسالة فأثارت فيك الحب أو الشجن أو الشوق، فكل ذلك يستقر فى (بؤرة الشعور) ويشترط أن تكون خالية حتى تستقر أو أنها تزحزح السابق وتطرده (حسب قوتها) حيث يخزن فى الصندوق، وتظل بنسبة تأثيرها عالقة فى البؤرة ثم يختفى تأثيرها تدريجيًا حتى تحفظ فى الصندوق وهكذا.

وكذلك إذا رأيت شخصًا ذكرك بموقف شعورى فيه الحب أو الشجن أو الشوق، وكان ذلك منذ زمن، فإنه يتم استدعاء الموقف، حيث يستقر فى البؤرة، فإن أدى مهمته دخل فى الصندوق وهكذا.

وبعد هذا التفصيل تكون الإجابة سهلة جداً، فباستطاعتك أن تكون دائمًا فى بؤرة مشاعر الناس!! سواء كان بالأمرين السابقين، وذلك بايجابيتك واعتيادك لما أمر به الإسلام وألفتك به، ولما فعله النبى ﷺ عندما سئلت أم المؤمنين عن خلق الرسول ﷺ قالت: كان خلقه القرآن.. فأنت في بؤرة شعور الناس ما دمت قرآنًا يمشى بينهم، يرون فيك الخلق القويم، ويلمسون منك الطهر السليم، ويقرءون فى أفعالك الإسلام، ويشعرون به فى كلامك وحركاتك وصمتك وأحوالك كلها. وهذا لمن أراد أن ينشد حياة الحب والرحمة، فقد يكون الرجل أيضًا فى بؤرة المشاعر بالمعنى السلبى وعكس هذه الحياة الكريمة، فسيتذكرون الناس ظلمه وبطشه وجبروته وطغيانه وتتحول الحياة إلى ليل بهيم وإظلام عقيم فى حياة ملؤها الكره والبغضاء والشقاق.

فهل أنت على استعداد لتكون فى بؤرة شعور الناس دائمًا؟ وليس الأمر صعبًا حتى يقول قائل: وهل علىّ أن أفتعل مواقف ليلاً ونهارًا كلما تقابلت مع الناس؟ الأمر ليس كذلك.. فأنت بالتزامك وفقط.. وهو الأمر الذى طلبه منا الإسلام.. فأمر الطاعة لا يحتاج إلى افتعال! والعمل الصالح لا يحتاج إلى تصنع! وأمر التقوى لا يحتاج إلى تجمل! فكل ذلك يفسده، وإنما المعنى الذى نقصده هى حياة طبيعية تحياها مع الناس وبين الناس وفى الناس، بالتزامك أنت وفقط، لتكون فى بؤرة شعورهم دائمًا.

وما أعظم هذه الصفات للمشاعر المؤثرة النبوية، ففى وصف النبى ﷺ قيل:

- ليست له راحة.
- لا يتكلم فى غير حاجة.
- يُعظم النعمة وإن دقَّت لا يذم فيها شيئًا.
- لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.
- لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه.
- ولا يطْوى عن أحد من الناس بِشره.
- قد وسِع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبًا، وصاروا عنده فى الحق سواء.
- لا يثبت بصره فى وجه أحد.
- لا يؤيس راجيه.
- ولا يُخيِّب عافيه.
- ومن سأله حاجة لا يرده إلا بها أو بميسور من القول. وأظن أننا فى جولتنا رأينا هذا الاجمال الجميل الرائع الساحر لصفات النبى ﷺ تتحرك، فرأيناها وشاهدناها فى صحبة خير الأنام وأكمل البشر. وأهمس فى أذن القارئ الحبيب بمشاعر طيبة كتبها مصطفى صادق الرافعى فى كتابه «وحى القلم» جـ٢ يقول:

(- أيها الحى، إذا كانت الحيـاة هنا فلا تكن أنت هناك أى: الحياة فى ذاتك الداخلية وقانون كمالها.

- هنا أى: فى الإرادة التى فيك وحدك ولا هناك فى الخيال.
- هنا فى أخلاقك وفضائلك ولا هناك فى أموالك ومعايشك.
- هنا فى الروح ولا هناك فى الحس).

ثم يقول: ما قيمة العقيدة إلا بصدقها فى الحياة.

وأخيرًا:

* لتـجعل نفـسك فى بؤرة شـعور الـناس، عليك وأنت تمارس هذه الأسس أن تضيف إليها بعضًـا من الملح والمحسنات، إنها ممثلة فى وسائل الإثارة والانتباه وهى لا تنتهى.. بها لا ينسونك أبدًا ودومًا يتذكرونك.

* ولتجعل نفسك فى بؤرة شعور الآخرين، عليك بالإضافة لما سبق، أن تركز فـى الخروج بالناس من مـشاعر الحـيرة والاحـباط والهـموم إلى مشاعر رحبة واسعة ملؤها الأمل والبشرى والرحمة.

عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: لما نزلت الآية: **﴿من يعمل سوءًا يجزى به﴾** شقَّت على المسلمين وبلغت منهم ما شاء أن تبلغ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فـقال: **«قـاربوا وسددّوا، فـفى كل ما يصـاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينْكبها أو الشوكةَ يُشَاكها»**.

وحمل أبو بـكر الصديق -رضى الله عنه- هذه المشـاعر الحـزينة وجاء يسأل النبى ﷺ: كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال النبى ﷺ: **«غفر الله**

لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللألواء؟» قال: بلى، قال ﷺ: «**فهو ما تجزون به**» وهكذا كانت راحتهم بين يديه، وتنتهى حيرتهم عنده، ويجدون إجابة تساؤلاتهم بما يشفى همومهم ويفتح آفاق الأمل والبشرى.

* ولتجعل نفسك فى بؤرة شعور الناس، عليك بتصحيح أخطائك مع الناس، بإكرامهم ولطف كلامك، لتمسح أى أثر مس مشاعرهم، عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ**﴾ قال: بينما رسول الله ﷺ يناجى عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرًا، -ويحرص عليهم أن يؤمنوا- فأقبل عليه رجل أعمى يقال له: عبدالله بن أم مكتوم يمشى وهو يناجيهم، فجعل عبدالله يقول: يا رسول الله، علمنى مما علمك الله، فأعرض عنه النبى ﷺ وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله وأخذ ينقلب إلى أهله أنزل الله الآية، فلما نزلت الآية أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه وقال له: «**ما حاجتك هل تريد منى شىء؟**» وإذا ذهب من عنده قال له: «**هل لك حاجة فى شىء؟**» وولاه مرتين إمامًا للمصلين بالمدينة حين غادرها رسول الله ﷺ.

فلكى يصحح رسول الله إعراضه عن ابن أم مكتوم أكرمه وكلمه وأقبل عليه، وإن تكراره ﷺ لهذا القول: «**هل لك حاجة فى شىء؟**» وذلك كلما رأى ابن أم مكتوم أو ذهب عنه.. كان يرفع من مشاعر ابن أم مكتوم

ومسح جميل لكل أثر من آثار العبوس فى وجهه والإعراض عنه، حتى أصبحت تسرية ربما حفظها ابن أم مكتوم كلما دخل أو خرج من عند رسول الله ﷺ.

* ولتجعل نفسك فى بؤرة شعور الناس، إن تسببت فى حزنهم، ألا تتركهم إلا وقد مسحت كل أثر لحزن أو مشاعر سلبية تسببت فيها، خاصة ما يكون من تكذيب ما يقولون، أو التشكيك فيما يقولون، أو إثارة أسئلة من شأنها أن تقلل من صدق أنبائهم، روى ابن جرير فى تفسيره عن الحسن أن غلامًا جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى سمعت عبد الله بن أُبى يقول: كذا وكذا، قال: **فلعلك غضبت عليه؟** قال: والله لقد سمعته يقوله، قال: **فلعلك أخطأ سمعك؟** قال: لا والله يا نبى الله، لقد سمعته يقوله، قال: فلعله شبه عليك؟ قال: لا والله، فأنزل الله تصديقًا للغلام: ﴿**يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ...**﴾ فأخذ النبى ﷺ بأذن الغلام فقال: «**وفّتْ أذنك، وفّت أذنك يا غلام**».

لقد كان من عادة النبى ﷺ أن يتبين الأمر، خاصة إن كان متعلقًا بالحكم على إنسان أو اتخاذ قرار، ولذلك كانت هذه الأسئلة التى أراد منها أن يتأكد من الخبر، فالموقف يستدعى التأكد والتبين أولاً، ولذلك كانت الأولوية لذلك، ولو تطلب الأمر أى أثر سلبى على مشاعر الناس فبمقدورك علاج ذلك بمسحة رقيقة ولمسة هنية بما يضمن أن تكون فى بؤرة

شعورهـم، وأحسب أن هذه المسحة من الأمـور التى لا تنسى أبدًا، فمع مشاعر الحـزن والاحباط التى حاصرت الغلام حـتى دعته إلى القسم: (لا والله لقد سـمعته يقـوله) بل ويكررها وهو متأكـد أمام أسئلة التـأكد من رسول الله ﷺ والتى قد تُفسر بالتشكيك فـيما يقوله الغلام، هذه المسحة لم يتركها النبى بعد أن تأكد من صـدق الخبر وقد نزلت الآية، فأخذ بأذن الغلام فى لمسـة حانية كريمـة قائلاً: **«وفَت أذنك، وفَت أذنك يا غلام»**. . فأى مشاعـر من فرحة غامرة بدَّدت كل ما كان فى نفسـه بعد هذه المسحة النبوية من رسول الله ﷺ، والتى ربما لن تمحى لمسة النبى على أذنه، ولا يختفى أثرها أبدًا.

* * *

سادسًا: مشاعر قرآنية

لقد حوى القرآن الكريم مـواقف شعورية فائقة وسامقـة، كان التعامل الأساسى فيـها للمشاعر، والذى كان يقـود الموقف هو الإحساس، وذلك عن طريق عرض نماذج مختلفة لأعـظم البشر الذين تحركوا على الأرض، وهم الأنبـياء ثم الصـالحون من هذه الأمـة، فهذا نموذج لأم نـبى، وآخر لأخت نبى، ثم والد نبى، ثم أخ نبى، ثم زوجـة نبى، ثم ابن نبى وابنة نبى، ثم أقارب النبى وأصحابه، فى حياة تبـعث الروح حول الحقيقة التى من أجلهـا كان كـتابـنا: (إن المعاملة بالإحـسـاس مع جمـيع الناس هى الأساس وفى الوجود نبراس) وغير ذلك قشور ومبانى ورسم وعلامات لا تؤثر ولا تتأثر.

ونجاح مشاعرنا فى غرس الإيجابية والدافعية لدى الآخرين، والانصياع للحق والحقيقة لنا ولغيرنا، وممارسـة المعانى والقيم فى أحلى حياة ينشدها إنسان، وهى التى يبحث عنها العقـلاء، ويحياها الصالحون والراشدون.. وهذا ما نعنيه بالمشاعر المؤثرة.

وفى الحقـيقة إن الابتـلاءات الكبرى والمحن الشديدة التى تعـرَّض لها الأنبيـاء لم تكن إلا فى مشـاعرهم خاصـة مع أحب الناس إلى قلوبهم: أسرهم وأقاربهم وأصحابهم، ولذلك جاءت كلها فى مشكاة واحدة، فقد تتنوع الأسباب مثلاً والحبس واحد، فمنهم من حبسه المرض أو السجن أو الخطيئـة أو الظلمات فى الأعماق، ومنهم من امـتُحن فى عواطفـه وحبه ومشاعره كأب أو زوج أو أخ أو ابن.. وقد تناولنا ذلك من وجهين:

الوجه الأول: كيف كانت المشاعر هى التى تحرك الأحداث، وكيف تحولت هذه الأحداث إلى الإيجابية التى تدفع إلى الممارسة والعمل والمزيد من الاجتهاد والتشمير، وكيف تحولت أيضًا إلى قيم ومعانى أسعدت الحياة لدى الذين تعاملوا مع الأحداث من ناحية وفى أقوامهم من ناحية أخرى.

والوجه الثانى: إسقاطها على واقعنا؛ حتى نرى أنفسنا وكيف نضبط مشاعرنا ونقتدى بخير البشر على الأرض الذين أرسلهم الله للأرض رسل رحمة وهداية، وإمامهم ﷺ أكمل الأنبياء صلوات الله عليهم جميعًا.

أولاً: مشاعر المبتلين:

*** مشاعر أم:**

١ - ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧].

٢ - ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص: ٨].

٣ - ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: ٩].

٤ - ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠].

* قذف الله فى قلب أم موسى أن ترضعه، وهى ترى موته المحقق فى أى لحظة، فكانت حزينة؛ لأنه ولد فى العام الذى أمر فرعون فيه بذبح من يولد من بنى إسرائيل من الذكور، فكانت خائفة عليه، وهذا هو مصدر خوفها، ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ وهل يزول الخوف عليه بإلقائه فى اليم؟ إنه خوف من ورائه خوف، وحزن من بعده حزن، وهل إنهاء الخوف يكون بالخوف؟ والإجابة واضحة عبر الآيات، فالله هو القائل، والثقة الكاملة فى وعده، ولذلك كان قوله تعالى: ﴿وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي﴾؛ وسبب ذلك: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، لا تخافى على موسى من البحر، ولا تخافى لفراقه.

* وأى مشاعر أخرى وهى ترى وتسمع بأن موسى التقطه آل فرعون؟! فالموت الذى ذهب بعيدًا عن موسى أصبح وشيكًا، فقد وقع فى يد فرعون قاتله، ولكن الله الذى يعلم ما نخفى وما نعلن أوضح من غيبه ما يؤكد ثقة أم موسى بربها: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ عدواً لهم فى دينهم، وحزنًا لما يأتيهم.

* ومن هنا تتحرك الإرادة الإلهية لتقف امرأة فرعون دون قتل موسى الرضيع ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ﴾، وقال فرعون: قرة عين لك أمَّ لى فلا (قال رسول الله ﷺ **لو قال فرعون: قرة عين لى ولك لكان لهما جميعًا**).

* وتتلاحق الأحداث والمفاجآت التى تتعرض لها مشاعر أم موسى حتى أصبح فؤادها فارغًا من كل شىء سوى ذكر ابنها موسى وَهَمٍّ

موسى، والأحداث المباغتة التى تنتظر موسى، وتتابع أمام عينيها، وتجمعت مشاعر الأم فى قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ لتظهره وتخبر أنها أمه، وكادت تصرخ قائلة: (يا ابناه) من شدة وجدها وحزنها وخوفها وقلقها واضطراب قلبها، ولكن الله -تعالى- عصمها وربط على قلبها بعد أن ضاق قلبها ذرعًا بفرعون وعمله وكادت أن تظهره وتخبر به، وعصمة الله لها بأنها سكتت صابرة ثابتة هادئة مؤمنة واثقة بوعد الله لها.

تذكر:

١- من الأمومة الخوف على الأبناء والحزن لأقل إصابة بأذى لهم.

٢- من الأمومة عدم مفارقة الأبناء خاصة وهم رُضَّع.

٣- من الأمومة الثقة الكاملة برعاية الله وعنايته بالأبناء.

٤- من الأمومة امتلاء القلب بحب الأبناء والحرص عليهم.

*** مشاعر أخت:**

١- ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١].

٢- ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢].

٣- ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

* وما زالت أم موسى تحمل مشاعر الخوف على موسى وهو فى بيت فرعون، فطلبت من أخته أن تغامر هى الأخرى، بأن تتبع أثره، وماذا يفعلون به، حتى رأته عن بُعد، وتحمل الأخت مشاعر المغامرة فى التخفى والبحث والتحرى، حتى لا يراها أحد ولا يكشف أمرها أحد، وآل فرعون لا يعلمون أنها أخته، حتى أنها اكتشفت أدق الأمور فى قصر فرعون وهو رفض موسى الرضاعة من أى امرأة، فقالت: هل أدلكم على آل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ ولأجل العبارة الأخيرة كادوا أن يكتشفوا أمرها، فقالوا لها: إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله، ولكنها مازالت ثابتة على روح المغامرة والكتمان والتخفى فقالت: ما أعرفه ولكنى إنما قلت: هم للملك ناصحون!! وبذلك نجت من مشاعر الخوف والفزع وهى تحت أيديهم الباطشة.. وقالوا هاتى.

* وأخيرًا: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾.

١- ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برؤيته سليمًا من القتل.

٢- ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقه وبعده عنها.

٣- ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فى قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ وهكذا تستقر مشاعر الأم ومشاعر الأخت بوجود موسى بينهم، فى بيتهم وتحت أبصارهم، إنه وعد الله حقاً.

تذكر:

١- الأخت تساعد الأم فى رعاية الأبناء والخوف عليهم ومراعاتهم.

٢- الأخت قد تقدم التضحيات فى سبيل حرصها على راحة إخوتها.

٣- الأخت تحرص على راحة الأم وطاعتها وإضفاء الحب فى البيت.

* مشاعر بنت:

١ - ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ القصص: ٢٣].

المشهد تجمع من الناس يسقون، ودونهم امرأتان وليست واحدة، فبيوت الأدب والعفة لا ترسل بواحدة، وذلك من أجل أن تعضد إحداهما الأخرى، وهكذا بيت الالتزام والأدب، والمرأتان تحبسان الغنم عن الناس، قال موسى: ما شأنكما لا تسقيان؟ فأفصحتا بأدب جم عن سببين لذلك:

الأول: نؤخر السقى حتى يمشى الرعاة مخافة الخلطة والزحام.

والثانى: ما دعانا للخروج وهو أن أبانا شيخ كبير من ضعفه لا يستطيع أن يأتى.

فماذا فعل موسى عليه السلام؟.. ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ على الفور.

٢ - ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

* على الفور ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ موسى.

* ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ دون تجمل أو حديث أو طمع فى ضعف المرأتين.

* ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال هذا القول وهو بجهد

شديد، وأراد أن يسمع المرأتين حديثه لعلهـما أن تطعماه مما به من شدة الجوع.. وكلمة (فقير) تعنى أنه محتاج.

٣- ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

* بلغ الاطمئنان إلى موسى والثقة به مداه، فجاءته إحداهما فقط وليست المرأتين.

* وهيئتها تمشى على استحياء مستترة محتشمة متأدبة فعلام تخشى أحدًا.

* قـالت: إن أبى يدعوك -وليس يطـلبك- إنه الأدب الجم فى الطلب - ليجزيك أجر ما سقيت لنا.

* والسبـب فى ذلك أن الأب استنكر حـضور البنتين مـبكرًا عن كل يوم فأراد أن يعـرف القصة وكـان من أدب موسى المؤثر أنه سـار أمام المرأة وليس خلفها.

فلما جـاء وقص عليه القـصص قال: لا تخف؛ فـمدينتنا بعـيدة عن فرعون ﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

٤- ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

* استنكر أبوها وصـفها لموسى بالقوى الأمين وقـال: وما علمك بذلك؟ فقالـت: أما قوته: فمـا رأيت من حمل الصخرة التى لا يحـملها إلا عشرة رجال ليسقى لنا، وأما الأمانة: فما رأيت من غضه البصر عنى.

* وذهبت شهادة زوجة موسى فيما بعد، من شهادات المرأة الرصينة والأكيدة عن الرجال، فهذه مشاعر بنت الأدب والالتزام فيما تريده من صفات الرجال: (القوى) لحمل أعباء البيت والسعى فى الرزق، و(الأمانة) فى المحافظة على البيت والعفة وعدم الخيانة، فما أحوج بناتنا للاقتداء ببنت العفة والأدب والتى صارت فيما بعد زوجة نبى وسيدة النساء الصالحات.

تذكر:

١- البنت تحب الأدب والاحتشام وتبعد عن المزاحمة والاختلاط.

٢- البنت تساعد أباها وترعاه خاصة فى شيخوخته.

٣- البنت قد تخرج للعمل إذا تطلب الأمر ذلك أو لمرض الأب أو كبر سنه.

٤- البنت إن خرجت تمشى على استحياء ومستترة ومتأدبة ومحتشمة.

٥- البنت إن تحدثت وتكلمت مع الغريب تحدثه بأدب ودون تصنع.

٦- البنت تختار من صفات الرجال القوة لصنع البيت، والأمانة للمحافظة عليه، فهى عاقلة رزينة وعفيفة.

*** مشاعر زوجة:**

أى مشاعر لدى هذه الزوجة ومعها رضيعها الصغير، حينما تستجيب لزوجها وتصطحبه فى رحلته، وعندما وصل لمكان لا زرع فيه ولا ماء،

يتركهـا مع رضيعها، ويـرحل؟! هل يتركها فريسـة للذئاب؟ وهل يتخلى عنهما وهمـا الضعيفان؟ وما الذى أجـرمته الزوجة الشابة ورضيـعها حتى يتركها هكذا؟!

ذكر القـرطبى فى تفسيره (٥/ ٣٧٧): أن إبراهيم -عليـه السلام- أتى بهاجر وابنه الرضـيع إسماعيل إلى مكة التى لم يكن فيهـا أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندها جـرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم تركهما وذهب، فقالت هاجر: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فـيه إنس ولا شىء؟ قـالت له ذلك مـرارًا، وجعل لا يلتـفت إليها، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا.

* **الموقف الأول:** لم تكبت الزوجة مـشاعرها، فـجمعت أحـاسيسـها وعبرت عن المكنون فى داخلها قائلة: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى؟ خاطبته باسمه لعل الرحمة والحب والمودة تتحرك فى مشاعره ثم، سألته (أين تذهب؟) وكـأنها تتساءل هل حقّـاً أنت ذاهب عنا؟ ثم تفصح عن مشاعر الحيرة والقلق والخوف: (وتتركنا بهذا الوادى؟) الذى لا تعرفه ولا تدرى اسمه ومكانه، بل وكـأنها تصرخ من أعماقهـا واصفة الوادى، (الذى ليس فيه إنس ولا شىء؟).

(قـالت له ذلك مرارًا) وتكـرر الزوجة لعل فى التكـرار لغة تنفـذ إلى مشاعر الزوج الصامت الساكت، لعل فى التكرار أن يرد عليها هذا الزوج وهو يتصرف معها هذا التصرف الغريب!!

* **الموقف الثاني**: لماذا لم تتحرك مشاعر الزوج وهى تكلمه بهذه المشاعر التى اختلط فيها الخوف بالقلق، والحزن بالحيرة، والدهشة بالاضطراب؟! يقول الراوى: (وجعل لا يلتفت إليها) هل هى قسوة قلب إبراهيم التى بلغت به هذا المدى؟ كلا والله، إن إبراهيم كان أُمَّة، وكان أوابًا إلى ربه وصاحب القلب السليم الذى يعرف ربه، فهو الخليل الذى ينفذ أمر ربه ويمارس طاعة الله تعالى، ومشاعره التى بلغت مداها هى التى جعلته لا يلتفت ولا يرد عليها، وكأنه تساءل مع نفسه: ماذا أقول لها وأنا الحريص عليها؟ ماذا أقول لها وأنا المحب لابنى؟

ماذا أقول لها وأنا الحزين لتركهما؟ ولكنهما فى كنف الله تعالى ورعايته، فالله الذى أنقذنى من النار وجعلها بردًا وسلامًا قادر على رعايتهما والعناية بهما؟ وهنا تخرجه الزوجة الشابة المؤمنة وكأنها شعرت بشعوره قائلة: آلله أمرك بهذا؟ ولأول مرة ينطلق لسان الصامت الساكت وكأنها انتشلته من بحر عميق يقول: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا الله. وتهدأ ثورة مشاعر الزوجة ويطمئن قلبها وتأمن حياتها لأنه أمر الله وبكل ثقة تفصح عن هذه المشاعر الجديدة: إذًا لا يضيعنا.

* يقول تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ [إبراهيم: ٣٧]، قال ابن عباس ومجاهد: لو قال: أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس، ولكن قال: من الناس، فهم المسلمون.

ذكره القرطبى فى تفسيره والسيوطى فى الدر المنثور.

تذكر:

١- واجب الزوجة الطاعة لزوجها فى السفر أو الإقامة، وفى كل الأحوال فى السعة والضيق.

٢- الزوجة الصالحة تخاطب زوجها باسمه حتى تنفذ إلى مشاعر الرحمة والمودة والحب.

٣- ولا تكتم مشاعرها عن زوجها إن شعرت بالحيرة أو القلق أو الخوف.

٤- عند الصعاب والمشكلات تطمئن الزوجة إلى قدر الله وترضى بقضائه.

٥- وتساعد زوجها على الخروج من أزماته وتطمئنه بأنها جديرة بذلك.

٦- الثقة الكاملة بأن الله لا يضيع أحدًا وأن الأمور لا تكن على حال دائم.

*** مشاعر أخ:**

الإنسان ليس وحده فى الوجود، بل لابد أن تتضافر الجهود، والذين لا يعيشون إلا فى أنفسهم وحدودها، ويظنون أنهم يمتلكون من القدرات والإمكانات الفذة والنادرة الوجود فى الناس، هم على خطأ كبير بل على خطأ أكبر، فسرعان ما يصدقون أنفسهم باعتيادهم لهذا الأمر، ويظهر ذلك باستعانتهم بأتباع ضعاف حتى يبتعدوا عن أى تهديد لقدراتهم الضعيفة فى حقيقتها، والتى يظنون ندرتها، ولكن المشاعر السوية هى التى

تؤمن بالمشاركة والمؤازرة والمساعدة والمعاونة بقدرات الآخرين، وتقديمهم فى المسؤوليات مادام الهدف واضحًا، فالحريص على تحقيق الأهداف يأخذ بكل القدرات والطاقات ويجعلها فى المقدمة بمعنى يعملون معًا وليس يعملون عنده.

* وهذا نبى الله موسى -عليه السلام- وهو يطلب من ربه عند تكليفه بالنبوة، وهى أرفع منزلة يصل إليها إنسان على الأرض، حينما قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤]، فالمكلف بالرسالة هو موسى، والأمر من ربه، أن يأتى قوم فرعون فيدعوهم إلى الله وإلى التقوى. ومع وضوح الرسالة والتكليف والمنزلة يطلب موسى من ربه الاستعانة بأخيه، ليس فحسب بل وأن يرفعه معه إلى منزلته، وهو المكلف وحده بالرسالة، فقال: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ۝٣٥ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [القصص: ٣٥، ٣٦]، ويقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ﴾ [الشعراء: ١٢، ١٣].

قال موسى: (فأرسل إلى هارون)، ولم يقل: أرسل لى هارون ليؤازرنى وليعيننى، بل جعله فى مستواه نفسه، وما أفضل أن تجتمع لدى مشاعر الأخ أن يؤازره أخوه ويعضده وأن يعملا معًا من أجل الهدف الواحد، إنها مشاعر الحب والمساعدة والمعاونة والاجتماع على الخير والسعى فى الصلاح والإصلاح.

ولذلك كان الرد مـن الله تعالى: ﴿قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٥- ١٧].

كلا، لن يـقتلك يا مـوسى قوم فرعـون، فاذهب أنت وأخـوك بآياتنا وكان التكليف لموسى وأخيه هارون [فاذهبا- فأتيا- فقولا].

تذكر:

١- المشاعـر السوية هى التى تؤمن بالمشاركـة والمساعدة والمعـاونة بقدرات الآخرين وتقديمهم للعمل معًا.

٢- الاستعانة بالأخ ورفعه إلى منزلتك تحقق مشاعر الحب والمعاونة.

٣- احترام الأخ وتقديره والاستفادة من إمكاناته لخدمة هدف واحد.

*** مشاعر ابن**

قصة يوسف -عليه السلام- وكلهـا أحداث جسام، واكبت يوسف فى كل مـراحل حيـاته: طفل، وشاب، ورجل، وكـهل، وشيخ، وأحـوال حياته المختلفة: لقيط يباع، وشاب ثرى، وسجين فقير، وحاكم مكنه الله فى الأرض.

وما واكب القـصة من حـزن الأب لفراقه وذهاب بـصره، ولكن الذى نبحث عنه مشاعر الابن فى استقـبال والديه كما أوضح القرآن الكريم بعد هذه الأحداث وبعد هذا العمر يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ

إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]. القرآن صوَّر مشاعر الابن المشتاق لرؤية والديه بكلمة (آوى) ففى (القاموس القويم/ ٤٥) أوى: أى: ضمه إليه وأسكنه عنده، أو أنزله فى بيت.

ويدل ذلك على حرارة اللقاء لمن جمعهم الحنان والشوق، فكم كان الأب مشتاقًا لرؤية ابنه الذى لم يره من قبل، وكذلك الابن كم كان مشتاقًا للقاء أبيه ولم يقابله من قبل! كم كان الأب على اشتياق خاصة بعدما سمع من أخوته عن مكانته ومنزلته! كم كان على اشتياق لرؤيته والاطمئنان عليه بعد عمر حوى أحداثًا ومفاجئات! وهذه الانفعالات عند اللقاء هى تعبير عن المكنون فى مشاعر الناس، وكلها مزيج من الود والمحبة والاحترام والاشتياق والحنو، وقد تظهر بالمصافحة والاحتضان والعناق ومظاهر الترحيب السامية وليس لها قانون، فيوسف -عليه السلام- أوى إليه أبويه وأخذهما فى أحضانه، وغاب فى دفئهما وغاص فى حنانهما، وهكذا يكون الأبناء.

تذكر:

١- على الابن إظهار الشوق لوالديه والتلهف لرؤيتهما ولقائهما عند الغياب.

٢- وإظهار الحنان والحب عند لقاءهما والترحيب بهما واحترامهما.

٣- والتعبير عن المشاعر بكل الوسائل من عناق وأحضان ومصافحة وضم.

*** مشاعر أب:**

* القرآن قص علينا مشهدًا فريدًا وهو ذبح إبراهيم -عليه السلام-

لابنه إسماعـيل، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

الغلام الذى كان بالأمس مـحرومًا منه أصبح اليوم يافعًـا وقد بلغ معه السعى، فأصبح مع أبيه فى العمل، أى: اشـتدت حاجة الأب إليه، أبعد هذا الانتظار وبعد هذه الفـرحة باشتداد عوده يتـخلص منه؟! ولذلك كان الحوار القرآنى حوار مشاعر أب مع ابنه الغالى عليه، قال الأب: (يا بنى) بكل ما تحويها هذه الكلمة من مشاعر الأبوة، يا حبيب القلب، ويا أقرب الناس إلى روحى، فأنت قطعة منـى، أفديك بكل ما أملك، (يا بنى).. بهذه المقـدمة الشعورية ينتـقل إحساس الأب إلى الابن، ويكون الشـعور يقظًا لما سيلقيه عليه الأب.

* **ويكمل الأب:** (إنى أرى فى المنام) والذهن الذى تهـيأ للاستقـبال، سرعان ما يقتنع بالحقائق الثابـتة فرؤيا الأنبياء حق، وجاءت الألفاظ كلها بالتأكيد على هذه الحقـيقة (إنى- أرى- فى المنام) وليس (كأنى) أو (رأيت فى المنام).

* **ويكمل الأب:** (أنى أذبحك) وهذا ما أراد أن يصل إليه الأب المبتلى وهل بعد الذبح من أمر رهيب؟! خاصة أن الذابح هو الأب والمذبوح هو الابن!!

* **ويختم الأب:** حوار مشـاعر الأبوة: (فانظر ماذا تـرى؟) فما رأيك؟ وبم تأمرنى يا بنى؟ هذا الابن الذى رعاه الله منذ أن كان رضـيعًا، وصنعه الله على عينه، ورباه على طاعته، فهو سليل تربية بيت النبوة، وأمه التى

اطمئن قلبها فى صحراء لا ماء فيها ولا زرع، وليس معها إلا هذا الرضيع قائلة: إذًا لا يضيعنا!!

فما كان موقف الابن والأب ينتظر رأيه؟!

- قال: (يا أبت)، فالابن البار فى أحلك الظروف متأدب مع أبيه (يا أبتِ) بما تحوى من مشاعر الحب والاحترام.

- (افعل ما تؤمر) ليس الأمر منك، وأنا متفهم لذلك، وليس لك ولى إلا الطاعة لأمر الله تعالى.

- (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) وأقبل إبراهيم -عليه السلام- يقبِّل ويعانق ابنه وهو يبكى والابن يبكى، والدموع تشهد على مشاعر الأب كيف تتحرك.

* ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].

وللخروج من هذه المشاعر الحرجة كان الاتجاه إلى الله القوى العظيم من الأب والابن معًا، فأسلما الاثنين أمرهما له، وفوضا الأمر إليه، واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه.

وكان على الابن قميص أبيض فقال: (يا أبت، إنه ليس ثوب لى تكفننى فيه غير هذا، فأخلعه حتى تكفننى فيه) فكل المشاعر كانت متجهة نحو الموت والذبح.. ولما تجمعت وتهيأت وصمتت الدنيا وتوقف الزمن.. فإذا بكبش يذبحه إبراهيم.. ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، وهكذا نجح الأب

والابن فى الابتلاء ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾ وهل أعظم من الذبح بلاء؟!

تذكر:

١- لا يخفى الأب مشاعر الأبوة، ومن سحر ألفاظها [يا بنى- يا حبيب القلب- يا أقرب الناس إلى قلبى وروحى- يا قطعة منى- أفديك بكل ما أملك].

٢- مصادقة الأبناء ومخاطبة العقل في الأمور المهمة والمشكلات الكبيرة.

٣- مساعدة الأبناء على الشورى وطرح وجهات نظرهم بأسلوب جميل دافئ.

٤- تربية الأبناء على اليقين بالله ومعرفته وهى التى تجعلهم دائمًا فى مشاعر سوية.

٥- لا تكتم مشاعرك والتعبير عنها من فرح أو بكاء؛ فذلك يقوى الحب مع الأولاد.

*** حياء المصطفى ﷺ**

عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال: بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، فبعثت داعيًا إلى الطعام، فدعوت، فيجىء القوم يأكلون ويخرجون ثم يجىء القوم يأكلون ويخرجون، فقلت: يا نبى الله، قد دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه قال: ارفعوا طعامكم، وإن زينب لجالسة فى ناحية البيت، وكانت قد أعطيت جمالاً، وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فى البيت، وخرج رسول الله ثم رجع فإذا الثلاثة يتحدثون فى البيت، وكان النبى ﷺ شديد الحياء، فخرج منطلقًا نحو حجرة عائشة، فلا أدرى

أخبرته أو أُخبر أن الرهط قد خرجوا فرجع حتى وضع رجله فى أُسْكُفَّة داخل البيت والأخرى خارجه، إذ أرخى الستر بينى وبينه، وأنزلت سورة الحجاب، وفيها أنزل الله تعالى قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

والأمر لا يحتاج إلا إلى وقفات مع مشاعر رسول الله ﷺ مع هؤلاء القوم الذين أكلوا فى وليمة زينب بنت جحش ثم جلسوا يتحدثون فى منزل النبى ﷺ وبالنبى إلى أهله حاجة، فهذا يوم عرسه بزينب، ولكن الحياء يمنعه من أن يأمرهم بالخروج من المنزل.

الوقفة الأولى:

قول النبى ﷺ: (ارفعوا طعامكم) بعد أن أخبره أنس قائلاً: يا نبى الله، قد دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه، فالنبى ﷺ لم يأمر برفع الطعام إلا بعد أن اطمأن أن الجميع قد دعاهم أنس -رضى الله عنه- فمازال الطعام موجودًا، فلم يُرفع لقلته أو نفاذه وإنما لانتهاء المدعوين.

الوقفة الثانية:

يقول أنس -رضى الله عنه-: «وإن زينب لجالسة فى ناحية البيت وكانت قد أعطيت جمالاً وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فى البيت» فالظرف غير

مناسب تمامًا والأمر لا يحـتاج إلى ذكاء أو مهارة أو فـهم، فالعروس فى ناحية البيت تنتظر، وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فى البيت، كأن مشاعرهم قد أغلقت تمامًا، وقد نقـابل أمثال هؤلاء فماذا نحن فاعلون؟ حـرج ما بعده حرج!! ولكن بعضنا قـد يأمرهم أمرًا مباشـرًا بالخروج، وربما زاد البعض فى تأديبـهم وتعنيف فـعلهـم ليكون درسًـا لهم، وربما أرسل أحـدنا من يطردهم بطريقـة قاسيـة! وفى كل ذلك إحراج لهم وتدمـير لمشـاعرهم، ولكن من المتسبب فى ذلك؟!

الوقفة الثالثة:

أمـا مشـاعـر النبى ﷺ وهو يسـتحى من جـرح مـشاعـرهم وهم لا يبالـون!! فيخـرج ثم يدخل لعلهم يحـسون!! ثم يدخل ويخـرج لعلهم يشعرون!! كأن الأمر لا يعنيهم، وربما تساءلوا فى سمرهم وحديثهم علام يخـرج ويدخل؟! والله يسـمع ويرى فـالآيات نزلت من أجل عـدم إيذاء الناس ولا يتسامرون حـيث الظروف لا تسمح بذلك، والله -تعالى- علل ذلك بأنه كـان يؤذى النبى ﷺ، ويمنعه حـياؤه من طالب خـروجهم من المنزل، والله لا يستحى من الحق.

الوقفة الرابعة:

طريقـة العلاج القـرآنية بأن تـكون مشـاعر الناس مـرهفة وحـساسـة ومتيقظة، للظروف التى يمر بها الناس، وحتى لا تُحدث حرجًا لأصحاب الفضل والحياء والأدب، متعللين بقولنا: إنهم لم يتكلموا أو لم يشتكوا!! كلا بل علينا أن نكون نحن المـتأدبين والفضلاء، ونكون نحن على حـياء

حتى لا نسبب إيذاء لمشاعر الناس، أو إحراجًا لأنفسنا ولمشاعرنا إن واجهتنا مشاعر غليظة بردٍّ قاسى.

تذكر:

١- من الحياء عدم رفع الطعام أمام المدعوين حتى ينتهوا هم أولاً.

٢- حتى لا نجرح مشاعرنا فلابد أن نراعى الظروف والأحوال ونوجز فى حضور الدعوات.

٣- عدم المسامرة بعد انتهاء الدعوات أو الحفلات فربما يمنع الحياء صاحب الدعوة أن يكلمهم.

٤- حتى لا نجرح مشاعر الآخرين نكون نحن المتأدبين مع صاحب الدعوة حتى لا نصدم بمشاعر غليظة.

*** مشاعر يوم عصيب:**

* ﴿ **وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٣٣]

﴿ **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** ﴾ [هود: ٧٧].

مشاعر الحزن والخوف والضيق لم تكن لأن لوطًا خائف على نفسه، بل على هؤلاء الضيوف الذين جاءوا على شكل جميل، وهو يعلم مرض قومه من فعلهم الفاحشة بالمسافرين والضيوف، ولذلك فقد أبدى لوط مشاعره ولم يخفها، فقد ضاق بهم ذرعًا على غير عادته، حتى كان قولهم: لا

تخف ولا تحزن، خاصة أن امرأته كانت على آفة قوية، فقد دلت الناس على الضيوف فى بيتها فهرعوا إلى البيت، ومن ثم كان قول لوط: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد المتاعب، شديد المصائب، شديد الأهوال.

* وبالفعل يقول تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] فقد تدافع القوم مسرعين وهم على خبرة ودُرْبة بالفاحشة ودروبها، فحينما علموا أن الضيوف يتميزون بالجمال جاءوا مندفعين لعشقهم ما يذهبون إليه، فلا حياء يمنعهم منها ولا خجل يصدهم عنها.

* وللخروج من مشاعره المختلطة يعرض عليهم الحلول الطبيعية: أولاً: يعرض بناته للزواج، وفى هذا طُهْرٌ لهم، ويحفظون كرامته أمام ضيوفه.

ثانيًا: تذكيرهم بالله وتقواه ولا يفضحون أنفسهم أمام الناس.

ثالثًا: أليس منكم رجل ذو عقل يمنع هذه المهزلة؟! وكأنه يحرك فيهم العقل والكرامة.

ولكن كل حلوله باءت بالفشل الذريع؛ فليس لهم حاجة فى النساء، وهو أمر معلوم ومعروف ومشهور، ومن أين التقوى وهم قد ألفوا الفاحشة؟! بل من أين الرشد والعقل والكرامة وكلهم غارقون فى الفاحشة؟! ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

* وأخذ يجمع كل ما فيه من مشاعر هذا اليوم العصيب متسائلاً: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] من هول هذا اليوم ذكّرته الملائكة بمصدر القوة وبأن ركنه الشديد هو الله -تعالى-..
وقد تعجب رسول الله ﷺ من قول لوط، فقال فيما رواه البخارى عن أبى هريرة -رضى الله عنه-: «**رحم الله أخى لوطًا كان يأوى إلى ركن شديد**» فلهول ما عانى لوط من كرب المفاجآت قال ذلك، وهو يعلم أنه لا ملجأ ولا سند ولا قوة ولا ركن أشد من الحق تعالى، وهدأت المشاعر المشتعلة بقولهم: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

لقد تعرَّت نفوسهم، وأسفر مجىء الملائكة عن مشاعر الخبث والعفن فيهم، وكان يومًا عصيبًا عانى من قساوته وآلامه لوط، الذى هدأت مشاعره المتأججة حينما أعلموه أنهم الملائكة الذين أرسلهم الله لهلاك قومه الظالمين، ونجاة المؤمنين، وهكذا نجح لوط فى اجتياز اليوم العصيب باللجوء إلى مصدر القوة القوى، وإلى الركن الشديد الحق -تبارك وتعالى- فمن أراد الهدوء فى يوم عاصف متعرض له، هذا هو الطريق، ولنا فى نبى الله قدوة وأسوة.

* **مشاعر يوم البشرى:**
﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].

هذا يوم البشرى وما يصاحبه من فرح وسرور، وأيامنا يوم نُسَرُّ ويوم نُسَاء، والبشريات قد تتوالى علينا فى يوم تتحقق فيه الأمانى والآمال،

التى ينتظرها الناس أعوامًا، فى يوم البشرى تتوالى على الإنسان مشاعر من التوجس والخيفة من زوال لحظات الفرح والسرور، فى قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

فكان إبراهيم يعلم أنهم ملائكة، وكان خوفه -رغم البشرى- بأن ينالوا من قومه بعقاب من الله، وعندما تثبت منهم واطمئن قلبه يقول تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، وهذه طبيعة التعبير عن مشاعر الفرح فى يوم البشرى، فإبراهيم طبيعته الكرم والاحتفاء بضيوفه بأغلى ما يملك من محبة إجلالاً وإكبارًا لهم.

* ويبدأ المشهد الثانى بمشاعر التوجس خيفة مرة أخرى، لتقطع مشاعر السرور والبهجة حين رأى أن أيديهم لا تصل إلى الطعام، فنكرهم، وتوجس منهم شرًا، ولكنه الكريم رغم أنفعالات الدهشة والتوجس لم يرفع الطعام، بل لاحظوا ذلك عليه، فقالوا: ﴿لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠] وكانت امرأة إبراهيم تقوم على ضيافتهم وخدمتهم، فلما اطمئنت أن قومها ناجون، وأنهم أرسلوا إلى قوم لوط ضحكت مستبشرة، وهو تعبير عن تبدد مشاعر التوجس وإحلال مشاعر الفرح والبشرى.. ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

فأزادوها من الله سرورًا حين بشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، هذا الحلم القديم الذى كان يراودها، ولكن من أين يتحقق وهى

عاقر؟! وبمقدار ما استقبلت البشارة الأولى بالضحك، تستقبل البشارة الثانية بالدهشة، يقول تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]، وعبرت امرأة إبراهيم عن مشاعر الدهشة بتعجبها من الأمر، ولم تكتم هذه المشاعر، حتى إن إبراهيم -عليه السلام- يقول: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ [الحجر: ٥٤]، وأمام مشاعر الدهشة والتعجب كان رد الملائكة لامرأة إبراهيم: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] فبشريات اليوم هى من أمر الله، وما دامت من الله، فالله يختار، والله يحكم، والله يقدر، والله يقضى، والله يصطفى، والله يرحم، والله يبارك، مَنْ علم أن فى قلوبهم صدقًا وإقبالاً، إنه حميد مجيد، كثير من الناس ينسون حينما تمتلكهم مشاعر الفرح والبهجة أنها من الله، فيسيئون الأدب مع ربهم، ويعبرون عن فرحهم بالمعصية، فيحرمون أنفسهم من خيرات وبركات ورحمات، ظانين أنهم مبتهجون، وهم فى حقيقة الأمر يبتعدون عن السعادة الحقيقية، فكم من أفراح تتحول فى مجتمعنا إلى مآتم؟! وكم من مشاعر فرحة فى لحظة تبدلت إلى حزن وترحة؟! وما ذلك إلا لنعلم أن يوم البشرى وما تصاحبه من مشاعر البهجة هو أول الطريق وليس نهايته، فى حمد الله وشكره، ورد الأمر إليه سبحانه، لتدوم السعادة وتكتمل البهجات.

• ثانيًا: مشاعر المحبوسين:

١- حبيس المرض:

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤٢].

لم تكن إصابة أيوب -عليه السلام- إلا فى جسده بمرض شديد، لمدة ثمانية عشر عامًا، تأكل الدواب من جسده وهو ملقى فى مزبلة، فتركه الأهل والولد، وهذا هو المقصود بالعذاب، وهو نوع آخر من الحبس، عانت منه مشاعر أيوب، واستجاب الله دعاءه وفرَّج عنه بأن أمره بتحريك رجليه فنبعت عينان فشرب من إحداها واغتسل من الأخرى، فبرأ بأمر ربه..

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٣، ٤٤].

الموقف الأول:

تلك الصابرة معه، وهى زوجته، فقد كانت تأتيه بالطعام والناس يقولون: اطردوا هذه المرأة التى تغشاكم؛ فإنها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها، فالناس يتقذرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك، فكم صبرت على طردها؟! وكم ثبتت مع زوجها وتعالجه بيدها؟! وكم تغلبت على الناس وهم يتقذرون منها؟! إنها مثال كريم لمشاعر زوجه محبة لزوجها فى وقت الرخاء ووقت الشدة.

الموقف الثانى:

حينما تعرض لها الشيطان وأراد أن يبلغ أيوب بكلمة جزع لو قالها لأعيد له ماله وأهله، هكذا كان تلبيس إبليس، فجاءت تخبره، إنها لم تنتبه لملقنها الكلام بقدر ما كانت مشاعرها وشعورها مع أيوب زوجها وهى اللاهثة وراء أى سبب يكون فيه شفاؤه من المرض، ولكن أيوب الصابر الأواب العابد لربه يغضب منها ويقول لها: لقيك عدو الله فلقنك هذا الكلام؟! ومن شدة غضبه قال: «إن أقامنى الله من مرضى هذا لأجلدنك مائة»، الزوج ورغم مرضه لا يجزع، وثابت فى الإقبال على ربه، والزوجة الباحثة عن شفائه من أى طريق تتحمل غضبه عليها، وتتحمل قسمه أن يضربها مائة ضربة إن تم له الشفاء، هل بعد هذا الوفاء والتعب والصبر والتحمل يكون جزاؤها فى عافيته أن تُضرب؟!.. إنه لأمر عجيب.

الموقف الثالث:

وهذه مشاعر جديدة يمر بها أيوب وكذلك زوجته، إنها مشاعر الفرح بالشفاء.. تروى كتب التاريخ أن أيوب كان يخرج كل يوم لحاجته تمسك زوجته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحى الله إلى أيوب فى مكانه: أن ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ فاستبطأته فتلقته تنظر، فأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت: «أى بارك الله فيك، هل رأيت نبى الله هذا المبتلى؟ فوالله ما رأيت أحدًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا؟ قال:

فإنى أنا هو، فاعتنقته» وكأن هذا العناق لغة جمعت كل مشاعرها السابقة التى زالت واختفت بشعور الفرح والبهجة والسرور والدهشة والانبهار، ولم تفكر فى أى شىء إلا التعبير عن هذه المشاعر بالعناق خاصة من الزوجة الصبور.

الموقف الرابع:

ولذلك كان من رحمة الله للزوجين معًا، وهما ينعمان بهذه المشاعر، أن يفى الزوج بقسمه، فيأخذ مائة عود فى حزمة فيضرب بها ضربة واحدة ولا يحنث، فإنه يستحق ذلك، وفى الوقت نفسه هو مكافأة الرب لزوجته الصابرة والتى تستحق كل جميل، بل الأكثر من هذا العفو الرقيق السامى، يقول تعالى: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، وكانت بحق ذكرى للصابرين العابدين.

تذكر:

١- المرض يظهر لك مشاعر الذين حولك وخاصة أحب الناس إليك.

٢- لابد من إبداء مشاعر الحب للزوج المريض؛ فهو فى أمس الحاجة إلى ذلك.

٣- يقين المريض بأن الله وحده هو الشافى يجعله ثابتًا لا يجزع وكذلك أهله.

٤- الزوجة الصالحة تتحمل وتبحث عن أى سبب لشفاء زوجها.

٥- إبداء مشاعر الفرح وبصدق تكون فى العناق والضم عند تحسن المرض.

٦- ليست مشاعر الفرح بالشفاء نهاية المطاف، بل منها تبدأ الحياة الجديدة السعيدة.

٢- حبيس الخطيئة:

* لقد كان لداود -عليه السلام -كما ذكر الطبرى فى تفسيره- يوم للعبادة ويوم للقضاء ويوم لنسائه يقول تعالى: ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ** ﴾ [ص: ٢١، ٢٢].

فقد دخلا عليه من غير باب المحراب ففزع منهم لهذا السبب، وقيل: لأنهما دخلا عليه ليلاً فى غير وقت نظره بين الناس، وأيّاً كان أحد الأمرين فقد امتلكته مشاعر الفزع مع الدهشة من أمرهما، قالا: لا تخف وذلك ليخففا من شعوره، وكان قد أرسلهما الله ليحكم فى قضيتهما من الملائكة.

* يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾ [ص: ٢٣].

قال أحدهما: هذا أخى فى الدين، له تسع وتسعون نعجة، وأراد أن يضم نعجتى الوحيدة إلى نعاجه وهو أقوى منى وقد ظلمنى، وهنالك فهمها داود.

* يقول تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وبعد الحكم العدل من داود فهمها، وعلم أن الله فتنه وعدّها خطيئة فاستغفر ربه أربعين ليلة، وهو حبيس الخطيئة، وخرّ راكعًا وأناب باكيًا على خطيئته حتى غفر الله له، وكان قد سأل الله أن يُبتلى كالذين ابتلوا من الأنبياء آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، يُعطى كالذى أعطوا، إن هو صبر مثلهم يقول تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۝٢٥ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٥، ٢٦].

وهكذا مَنّ الله على داود بالخروج من مشاعر حبس الخطيئة، والتى ضاقت عليه بها الأرض مشاعر السمو والارتقاء، إلى أن يكون خليفة فى هذه الأرض الواسعة.

تذكر:

١- يعلم صاحب الذنب أنه فى فتنة وامتحان من الله -تعالى- لتمحيصه.

٢- ولذلك فعليه الاستغفار والتوبة والإنابة والبكاء والتضرع.

٣- على صاحب الذنب أداء واجبه السابق، أما المغفرة فمن الله فى الوقت الذى يحدده الله.

٤- بعد المغفرة لابد من فتح صفحة جديدة نحو الإصلاح والاستفادة من الدرس.

٣- حبيس الظلمات:

يقول تعالى: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ [الصافات: ١٣٩- ١٤٢].

يونس من المرسلين، ومع ذلك حينما فرّ إلى قدره فى السفينة كانت مملوءة بالحمولة، فلما احتبست السفينة علموا أن السبب فى ذلك حدث أحدثوه، فكانت القرعة، والتى خرجت على يونس، بعد أن تساهموا عليه، فرمى بنفسه فالتقمه الحوت، وقد وصف القرآن مشاعره التى اختلطت بأشكال مختلفة من مشاعر الفرار إلى السفينة وما يصاحبها من الأسف والحزن على قومه، والذهاب إلى مجهول لا يعرف عنه شيئًا، إلى مشاعر انتظار نتيجة القرعة وما فيها من القلق والاضطراب، إلى أنه أصبح من المقروعين، أى: خرجت عليه فعلاً، إلى مشاعر بلع الحوت له، كل ذلك لخّصه القرآن فى عبارة ﴿**فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ**﴾ [الصافات: ١٤١] صوّرت يونس حينما اجتمعت عليه مشاعر المغلوب على أمره، الذى ينتظر مجهولاً، وقد دحضت كل آماله، مثل من ينزلق فى الماء والطين، فالدحض لغويًا: أصله الزلق فى الماء والطين.

* يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٣- ١٤٦].

وكانت عقوبته الحبس، ليست فى سجن منيع، وإنما فى بطن حوت يتحرك فى أعماق المياه، فلولا الذكر والتسبيح لظل محبوسًا إلى يوم الدين، ولكان الحوت قبره المتحرك فى المياه، وتعنى كلمة (المسبحين) أنه كان من الذاكرين قبل الحبس ولذلك فقد نفعه هذا التسبيح فى حال البلاء، وكان سببًا فى إنقاذه ونجاته، عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال النبى ﷺ: **«إن يونس النبى حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه الله فى بطن الحوت فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فأقبلت الدعوة تحت العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعيف معروف فى بلاد غريبة، قال: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: يارب، ومن هذا؟ قال: ذلك عبدى يونس، قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة؟! قالوا: يارب، أو لا يُرحم بما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه بالعراء»**.

وبعد نجاة يونس وقد تبدلت مشاعره من الإحباط إلى الأمل، ومن الهلاك إلى النجاة، هذه مشاعر جديدة تنتابه حينما نبذه الحوت بالعراء فى أرض فضاء حيث لا يواريه شىء من شجر ولا غيره، (وهو سقيم) مثل الطفل حين يولد وهو ما يطلقون عليه (الصبى المنفوس)، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين لا تقوم على ساق، لأنه فى حاجة إلى أوراق تدفئه

وتغطيه، ثم يقول تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾. . وهكذا بعد الضيق سعة، وبعد الكرب فرج، وبعد العسر يسر، وكم من أناس خرجوا من سجونهم إلى قصور الملك والرئاسة، وهكذا تهيأ ليونس أن يكون مبعوثًا على رأس مائة ألف أو يزيدون، يؤمنون بدعوته ويدعوهم إلى الحق من بعد ظلمات محبسه فى أعماق المياه ببطن الحوت.

يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٨، ٤٩].

فالغم الذى غطى مشاعره، كان الغم من حبسة الحوت والغم بذنبه، وهو مكظوم، أى: مهموم ومغموم قد أثقله الغم والذنب.

تذكر:

١- مشاعر الحزن والأسف أو القلق والاضطراب أو ظلمات المجهول ليست نهاية العالم، وليست مستمرة.

٢- مشاعر القهر واللوم والعتب واليأس والهزيمة لا تدوم بحال من الأحوال.

٣- والخروج من كل ذلك بالإيمان الجازم ونعمة التسبيح والذكر التى يعتادها الإنسان فإنها تخفف من هذه المشاعر.

٤- مهما أظلمت الأجواء فبعد الكرب فرج، وبعد العسر يسر، وبعد الغم فرح.

٤- حبيس السجن:

تبدأ قصة هذا الشاب النبى بتلويح امرأة العزيز بسجنه عدة مرات إن لم يخضع لرغباتها:

الأولى: فى قولها حينما فرّ منها.. ﴿ **وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٢٥].

فكان التهديد بالسجن جزاءً لكيدها بيوسف، والخروج من مأزق رؤية العزيز لها.

الثانية: حينما دعت نساء المدينة إلى طعام عندما انتشر الخبر بينهن وأعطت كل واحدة منهن سكينًا، وخرج عليهن يوسف فأكبرنه وقطعن أيديهن يقول تعالى: ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٢].

وكانت إرادتها من سجنه إهانته وإذلاله بالحبس، وليكونًا من أهل الصغار، وكان الاختيار أمام الشاب: إما أن يغرق فى كيدها ورغبتها، وإما أن يسجن يقول تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٣]، وكان الرد الربانى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**

الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]، ويتحرك القدر الإلهى فى محنة يوسف بالسجن، فبعد أن كانوا قد رأوا من ترك يوسف حراً طلقًا وكان قرارهم بالأمس إطلاق سراحه وتبرئته من اتهامات امرأة العزيز، بدا لهم أمر جديد: أن يسجنوه رغم أنهم قد رأوا من الدلائل والآيات المقنعة ما يؤكد براءته مما قذفته به امرأة العزيز، وهى ثلاث آيات:

١- قُدَّ قميصه من دبر كما حكم الشاهد.

٢- الخمش والخدش فى وجهه.

٣- قطع النسوة أيديهن عندما رأينه.

وذكر أن سبب حبسه فى السجن بلاغ تقدمت به امرأة العزيز إلى زوجها فقالت له: إن هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس، يعتذر إليهم ويخبرهم أنى راودته عن نفسه، ولست أطيق أن أعتذر بعذرى، فإما أن تأذن لى فأخرج فأعتذر، وإما أن تحبسه كما حبستنى، فذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ بمعنى: ليسجننه إلى الوقت الذى يرون فيه رأيهم، فليس فى الأمر احتكام إلى قانون أو نظام أو لائحة، فهم الدستور والقانون والنظام واللائحة!!.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾، وإمعانًا فى الذل والمهانة ليوسف لم يكن دخوله السجن بطريقة تليق ببراءته، وإنما إمعانًا فى إذلاله دخل معه السجن فتيان أحدهما كان متهمًا فى دَسِّ السم، والآخر كان يعمل ساقيًا للملك فخشى أن يفعل فعل الأول.

* **مشاعر السجين:**

وكان مسلك يوسف فى السجن كله مشاعر وأحاسيس نجملها فى:

أولاً: التعارف بين المساجين:

أول ما يفعل المسـجون أن يتعرف إلى أصحابه، فلمـا سألوه عن عمله قال: إنى أعبّر الرؤيا، فقصا عليه رؤياهـما، بعد ما تعرف عليهما، وعلم منهما قصتهما.

ثانيًا: المعاملة بالمشاعر:

وفى قول السجينين ليوسف: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦] تحديد لمسلك يوسف فى سجنه مع رفقائه بالمشاعر كما يقول أهل التفسير:

١- إذا مرض إنسان فى السجن قام عليه.

٢- وإذا احتاج جمع له.

٣- وإذا ضاق عليه المكان وسّع له.

٤- وكان يعزّى حزينهم.

٥- ويجتهد لربه.

يقول قتادة: بلغنا أن إحسانه: كان يداوى مرضاهم، ويعزى حزينهم، ويجتهد لربه.

وقال: لما انتهى يوسف إلى السجن، وجد قومًا قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم فطال حزنهم، فجعل يقول: أبشروا وصابروا تؤجروا، إن لهذا أجرًا، إن لهذا ثوابًا، فقالوا: يا فتى، بارك الله فيك ما أحسن وجهك وأحسن خلقك، لقد بورك لنا فى جوارك، ما نحب أن كنا فى غير هذا منذ حبسنا لما تخبرنا من الأجر والكفارة والطهارة.

وقال له عامل السجن -أى: المسؤول أو مأمور السجن-: يا فتى، والله لو استطعت لخليت سبيلك، ولكن سأحسن جوارك وأحسن إسرك، فكن فى أى بيوت السجن شئت (الزنازين).

ثالثًا: دعوة المساجين إلى الله:

وكان مسلكه الدعوى لا ينقطع فى السجن، فقبل أن يعبر لهما عن رؤيتهما، عرض عليهم دعوة التوحيد الخالص لله -تعالى-، وكيفية عبادته وحده، فى قوله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [يوسف: ٣٩]، ثم نبأهما بأن أحدهما سيقتل، أى: يحكم عليه بالإعدام صلبًا، وأما الثانى سينجو ويرد إلى عمله ويرضى عنه صاحبه.

رابعًا: ليس للمسجون إلا الله:

وقد أرسى يوسف أهم قاعدة فى فقه السجون، يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾ [يوسف: ٤٢]، فقد قال يوسف للذى علم أنه ناج

من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا: اذكرنى عند سيدك، وأخبره بمظلمتى، وأنى محبوس بغير جرم، أى: قدم إلتماسًا بمظلمتى، وطلبًا لخروجى من السجن، وكان ذلك يوم خروج صاحبه، وعندما وصل الخارج إلى الباب قال ليوسف: أوصنى بحاجتك، فقال: حاجتى أن تذكرنى عند سيدك. وهكذا نسى يوسف ذكر ربه الذى لو استغاث به لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه قال كلمته، فأطال الله من أجلها فى السجن حبسه وأوجع له عقوبته.

يقول مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: [اذكرنى عند ربك] قيل يا يوسف، اتخذت من دونى وكيلاً؟! لأطيلن حبسك، فبكى يوسف وقال: يا رب أنسى قلبى كثرة البلوى، فقلت كلمة فويل لى.

عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أنه -يعنى يوسف- قال الكلمة التى قال، ما لبث فى السجن طول ما لبث**».

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث فى السجن طول ما لبث**» يعنى بقوله: (اذكرنى عند ربك)، ويبكى الحسن وهو يقول: (نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس)، فليس -حقًا- للمسجون إلا الله، يستعين به، ويبتغى عنده الفرج، ويسأله الخروج من سجنه.

خامسًا: فضح الظلم وإبراء الساحة:

وهذا هو النهج الذى اختاره يوسف -عليه السلام- بعد هذه السنين فى السجن، إبراء ساحته، وفضح الظلم الذى تعرض له، حتى لا تكون

فى النفــوس أشيــاء من يوسف، فـيقــولون له: هذا هو الذى راود امــرأة العزيز، ولو كان فى الأمر تأخير موعد خروجه من السجن، يقول تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥٠]، (ارجع إلى ربك) وما فيها من جميل مخاطبة المشاعر، فهو النبى والداعى إلى التوحيد، ولكن العرف قد أطلق على السيد كلمة الرب، فـخاطبه بما لا يصطدم مع مشاعره؛ لأن غايته إبراء ساحته وإظهار الحق وفضح الظلم فعلام يفقد الهدف؟!

* عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قـال: قال رسـول الله ﷺ: «**يرحم الله يوسف إن كان ذا أناة! لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلىَّ لخرجت سريعًا، إن كان حليمًا ذا أناة!**» فدل ذلك أن مشـاعر المسجون أن يكون حـليمًا ذا أناة، وألا يفكر فى الخروج من السجن، حتى لا تسيطر عليه مشاعر القلق والاضطراب والإحبـاط والحزن، بل يتجـه إلى ربه بالتضـرع والدعاء؛ لأن الأمر بيده من قبل ومن بعد، فإما أن يرضى بقضائه وإما أن يفرح بخروجه.

* وعن عكرمـة -رضى الله عنه- قـال: قال رسـول الله ﷺ: «**لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له، حين سُئل عن البقرات العجاف والسمان، ولو كنت مكانه مـا أخبرتهم بشىء حتى أشترط أن يخرجونى، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له، حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر**».

* وعن سبب رده لرسول الملك وتركـه الخروج يقول الله تعالى: على لسـان يوسف: ﴿ **ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ**

﴿الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، وصدق يوسف، وبرئت ساحته تمامًا، حينما قالت امرأة العزيز: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [وسف: ٥١] فأراد إزالة أى شىء قد يؤثر فى شعوره وإحساسه وهو يتعامل مع الناس، وهذه هى المشاعر الناصعة الشفافة الطاهرة النقية، وكذلك إزالة أى شىء فى مشاعر الآخرين، حتى يكون الجو تقيًا نقيًا بارئًا طاهرًا.

تذكر:

١- التعارف يفتح أبوابًا للمشاعر فليحرص عليه السجين.

٢- أساس التعامل بالمشاعر فى جو السجون مع المريض والمحتاج ويوسع مكانًا ويواسى الحزين ولا ينسى الاجتهاد لربه.

٣- فتح ميادين الأمل والبشارة الدائمة والدعوة إلى الله.

٤- ليس للمسجون إلا الله والتماسه الوحيد يقدمه إلى الله.

٥- يحرص المسجون على إبراء ساحته إن كان مظلومًا حتى يتعامل مع الناس بمشاعر نقية.

٥- حبيس الحزن:

* إنه يعقوب -عليه السلام- حبسه الحزن [illegible] تصحب الأمل حتى تحقق، وبكى وذهبت عينه حزنًا وأسفًا، ولم ييأس من روح الله حتى جاءه الفرج، إنها قصة أب مكظوم مهموم مغموم حزين أسيف، توالت عليه الأحداث المأساوية ولم يكتم مشاعره حتى نجحت الثقة بالله وانتصر اليقين.

يبدأ الحبس بصدق مشاعر يعقوب حينما اكتشف الكذب فى كلمات إخوة يوسف فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

أليسوا هم الذين قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ [يوسف: ١١]، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢].

فهل أخذوه ليلعب ويلهو ويرتع ويحفظونه أم أخذوه ليحفظ لهم متاعهم وهم يتبارون؟!

* ويكتشف الأب بمشاعره المرهفة القصة الكاذبة فى مشهد بكاء أبنائه مع قدوم الليل: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]، وجاءوا مع الليل حتى لا تظهر سيماهم الكاذبة، وتختفى انفعالاتهم المصنوعة من تمثيل البكاء على أبيهم، ومعهم قميص يوسف وعليه دماء الذئب، ويتيقن الأب بإحساسه بأن ثمَّة مؤامرة سيكشفها الله له، فقد أورد القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن يعقوب قال لأبنائه: متى كان هذا الذئب حكيمًا؛ يأكل يوسف ولا يخرق القميص؟!

ثم لا يجد إلا أن يعبر عن مشاعره التى امتلأت بالهموم، وافتقدت السكون، فكان لابد من الاستعانة بالله وحده، على ما يصفون من أمور تصطدم بالواقع قائلاً: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

* وظل مصاحبًا للأمل رغم كل الأحوال، منتظرًا الفرج رغم ظلمات الضيق، وصابرًا الصبر الجميل الذى ليس فيه شكوى لأحد من البشر، أليس هو القائل: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾؟! [يوسف: ٨٦].

ثم يغيب عنه بنيامين شقيق يوسف من أمهما راحيل فلا ينفك يبكى على يوسف مع أن الغائب هو أخوه، يقول تعالى:

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

وها هو التعبير عن مشاعر الحزن الدفين وهو يستعرض شريط الأحزان فتنهمر دموعه، فلم يعد هناك سواد فى عينيه من كثرة البكاء، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يكظم غيظه من كل ما حدث ويحدث، وتتحرك الانفعالات بمشاعره، فهل يكتمها ويكبتها؟ إنه ليس بصخرة صماء، إنه عاطفة تنساب، ولكنه يوجه هذه العاطفة نحو السمو بها إلى الله تعالى، يستعين به ويتوكل عليه ويفوض الأمر إليه، فكان يشعر بأن يوسف مازال حيًا، لأن الرؤيا التى رآها يوسف سوف تتحقق بإذن الله تعالى.

وظل ينتظر هذا الأمل بل هو على شوق لرؤية يوسف فيقول: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، تحسسوا، أى: بالحواس، وهى قنوات المعرفة وأبواب المشاعر، والمعنى الذى أراده يعقوب: أعملوا حواسكم بكل ما فيها من طاقة، وبكل ما فيكم من جهد، كى تصلوا إلى

إجابة هذا التساؤل الدائم (أين يوسف وأخوه؟)، فنجاح الأمر فى عدم اليأس، وفى اللجوء إلى رب الأسباب؛ لأنه تعالى فوق كل الأسباب، والفرج يأتى من حيث الكرب، والنجاح يخرج من طيات الفشل، والنصر ينبثق فجره إذا حاصرتك مرارة الهزائم.

ولأنه من الله، فإنه يأتى من حيث لا تحتسب، أى: لا يكون فى حساباتك أبدًا، ولم يخطر لك على بال.

* وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ** ﴾ [يوسف: ٩٤]، أى: عندما فارقت العير مصر، وأصبحت قريبة من مكان يعقوب قال: إنى أجد ريح يوسف، فالقميص الذى أرسله يوسف مع أخيه الأكبر وإخوته العائدين من مصر، يحمل رائحة يوسف، فلم يصدق الذين حول يعقوب مشاعره وهى تتعرف على رائحة يوسف آتية إليه، فتوقف قائلاً لهم: لولا اتهامكم لى بالخرف.

* وبقدرة من الله يكتشف يعقوب بمشاعره وإحساسه رائحة يوسف أمام استنكار من حوله فى قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ** ﴾ [يوسف: ٩٥]، أى: أنك مازلت تذكر يوسف وتكثر من الحديث عنه، وتتوقع لقاءه، لأنك محب له، وقلبك معلق به، ولأن الجميع قد ظنوا أن يوسف قد مات، ولأن الأب مازال أمله قويًا وشوقه يزيد فى مقابلة يوسف رغم أنه أصبح حبيسًا للحزن والأسى، جاءت اللحظة الحاسمة التى أتى فيها البشير: ﴿ **فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٩٦].

* فلم يكن بكاء يعقوب المتواصل إلا من فرط شوقه إلى لقاء يوسف لأنه لم يصدق أنه مات، وعاش على أمل أن يلتقى به، فكان فرحه لا يوصف، فما بالك حين أوى إلى يوسف أبواه فى حنان وعناق واحتضان، ولذلك جاء قول يعقوب: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ﴾ ليس على سبيل إذلالهم بل ثمرة لثقته القوية بالله، وتوثيقًا بأنه يعلم من الله ما لا يعلمون، وهكذا بدد الأمل الأحزان وإن طالت، واختفت بالثقة الهموم وإن توالت، وتلاشى الغيظ فلا وجود له، وتمزق سجن الأحزان بتحقق الأمل فى ملاقاة يوسف عليه السلام.

تذكر:

١- استصحاب الأمل وعدم اليأس يبدد الحزن والأسف ويخفف منهما.

٢- العاقل إذا اشتدت مشاعر الهموم والحزن يصبر الصبر الجميل الذى لا شكوى معه لأحد.

٣- العاقل يحول مشاعر الحزن وكظم الغيظ إلى إيجابية بالثقة الكاملة بالفرج.

٤- مهما طال الحزن وتوالت الأحزان فإنها إلى زوال واندثار.

* * *

سابعًا: قواعد المشاعر المؤثرة

قصة من واقع الحياة يرويها كعب بن مالك

* المتعارف عليه لدى كثير من النـاس أن يعاقب الإنسان بالسجن فيعزل ويحبس عن المجـتمع ومصـالحه وأسرته وأقاربه حـتى عن خصومـه، وقد أضافت بعض الدول حـبس من يخالفهـا فى الفكر أو العمل، فـهى أيضًا تحبس الإنسان عن فكره ودعوته وأصدقائه أو عن جماعته وجمعيته وحزبه.

ولكن أن يحبس عن الإنسان أهله وأسرته وأقاربه ومجـتمعه ومصالحه وفكره ودعوته وجمـاعته فهذا أمر شـديد فى الإيلام، وغاية فى المعاناة، حينما يكون خـارج الأسوار ولا يكلمه أحد من هذه الدوائر حـتى زوجته لا تقـترب منه، إن مَنْ بداخل الأسـوار يخاطب هذه الدوائر، ويقـابلهم ويكلمهم، ويزورونه، ويقضـون حوائجه، فالوصال والاتصـال موجود، فهو المعزول عنهم فقط، ولكن أن يكونوا هم المعزولون عنك وأنت خارج الأسوار فـهذا مـا وصف القرآن ألمه وقـسوته بأن ضـاقت عليه أنفـسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

* لم تكن هذه المقـدمة إلا تمهـيدًا لمن تعـرض لجفـوة الخمـسين يومًـا الصحـابى الجليل كعب بن مـالك الذى لم يتخلف عن غـزوة غزاها النبى ﷺ قط إلا فى غـزوة تبوك، وهو من له تـاريخ السبق فى الإسـلام فقـد شهد ليلة العقبة، والتى يقـول عنها: (ما أحب أن لى بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها) وكان صـادقًا مع نفسه حين قال: «لم أكن

قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة» أى: تبوك، والتى غزاها النبى ﷺ عازمًا، فرغم قساوة العقبات من حر شديد وسفر بعيد ومفاوز صعبة وعدو كثير، مضى النبى ﷺ ليستلهم الدعاة من بعده أن النجاح فى المضى والتقدم وليس فى التقهقر والارتداد، مهما كانت المعاناة والصعاب.

* وكان من أمر القائد ﷺ عند الشدائد أن يترك الناس لحماستهم وخياراتهم وقناعتهم بعد أن يوضح لهم الأمر، ويجلى لهم فيه الرؤية، فأخبرهم بوجهه الذى يريد، وجلى لهم أمرهم ليتأهبوا ويستعدوا، ولم يدون الأسماء، ومع ذلك خرج المسلمون جميعًا، إلا بضعة وثمانون فقط، هم من تخلفوا عن الغزوة، فليس بالإكراه يعمل العاملون لدعوتهم، بل بفقه عطائهم وقوة تضحياتهم، وبالتالى فهم يصارعون أنفسهم حتى يتغلبوا على رغباتهم وعلائقهم، ولا تنفع المتكاسلين كلمة النادمين: (ياليتنى فعلت)، وهى الكلمة التى قالها كعب، وقد امتلكه شعور الحسرة والندم ولكن لات حين مناص، حينما يقول:

«فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم فياليتنى فعلت!!».

* والعاقل يحزنه حقًا أن يعيش فى مجتمع لا يرى فيه إلا منافقًا مغموصًا فيه، أو فى مجتمع الضعفاء أصحاب الأعذار، وهو شعور بحزن التخلف عن مجتمع المؤمنين والأقوياء، وامتلك كعب هذا الشعور فكان

عليه أن يعيد النظر فى حركته بالمجتمع وبين الناس، يقول كعب: «فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج النبى ﷺ يحزننى أن لا أرى لى أسوة إلا رجلاً مغموصًا فى النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء».

* وكان من القواعد النبوية أن يتفقد رسول الله أصحابه ويسأل عنهم، ويتقصى أحوالهم، حتى تتأسى به القيادة الواعية من بعده، فسأل النبى القائد قائلاً: «ما فعل كعب بن مالك»؟ فقال رجل من بنى سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه والنظر فى عطفيه!! فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيرًا. فسكت رسول الله ﷺ. فالقائد الواعى لا ينظر إلى الأقاويل وأحكام الناس فى الناس، وذلك لمعرفته التامة بالأفراد، والتى تجعله يتنبأ بأفعالهم وحركاتهم قبل أن يصنعوها، أما معاذ ابن جبل الذى رد غيبة أخيه لم يكن بالذى يتستر عليه، فتاريخ كعب يشهد كله بالخير، وهكذا بدأ ابتلاء كعب من إخوانه الذين يقفون معه فى صف الدعوة والإيمان، وهو الذى فتح هذا الباب بتخلفه، فمن أراد أن يعيش مطمئن الوجدان ساكن الجنان، فى صف متحاب فليبادر وليشمر وليجتهد، ودائمًا يكون فى المقدمة حتى لا يفتح ثغرة للشيطان تعكر عليه مشاعره، خاصة ممن يعملون معه نحو هدف كبير وغاية سامية.

* من أصعب المواقف التى تمر بنا، الحيرة فى اتخاذ قرار ما والتردد بين خيارين، ومشاعر الحيرة هذه تجعل الإنسان منا فى ضيق نفسى، وقد نأخذ بالأسباب فنستعين بأهل الرأى والمشورة من معارفنا وأهلنا وأصدقائنا حتى لا نتعرض للمزيد من المتاعب والصعاب، وهذا كعب يقول: «فلما بلغنى أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك، حضرنى بثى، فطفقت

أتذكر الكذب، وأقول بم أخرج من سخطه غدًا؟ وأستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى».

والعاقل لا يخرج من مشاعر الحيرة إلا بالصدق مع النفس، هنالك يكون القرار السليم، والنهج القويم، الذى تنبع قوته من التمسك به، مهما كانت التكاليف أو التضحيات، ومهما كانت المغريات والزينات، فما دام يوافق القرار الحق فالثبات عليه من علامات نجاحه، والذى أخرج كعب من مشاعر الحيرة صدقه مع نفسه، يقول كعب: «فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادمًا زاح عنى الباطل، حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشىء أبدًا فأجمعت صدقه» ورغم ما رآه كعب من مشهد الذين جاءوا يعتذرون، فقبل منهم رسول الله علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، اختار ألا يحيد عن صدقه.

* والإنسان الخاطئ لابد أن يواجه قدره من تحقيقات أو أجراءات ولا يتهرب منها بأعذار، فقوة الإنسان الصالح فى قول الحق ولو كان على نفسه والصدق مهما كانت الأثمان، وعلى القيادة أن تتفهم ذلك وتشجعه، وتنصت إليه باحترام، وأترك لكعب وصف هذه المشاعر فى التحقيق الذى أجراه معه النبى ﷺ، يقول كعب عن مقابلته للنبى ﷺ: «حتى جئت، فلما سلمت تبسم تبسُّم المغْضَب ثم قال: **تعالَ**. فجئت أمشى حتى جلست بين يديه، فقال لى: **ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتَعت ظهراً؟** قلت: يا رسول الله، إنى -والله- لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً» ثم يقول:

«والله مـا كـان لى عذر، والله مـا كنت قط أقـوى ولا أيسـر منى حـين تخلفت عنك».

ودون تلكؤ أو جـدال -وهو المتخـصص فيـه-، ودون مناقشـة -وهو يملك عناصرها- كانت الاستجابة الفورية من كعب: يقول: «فقال رسول الله ﷺ: **أما هذا فقد صدق، قم حتى يقضى الله فيك. فقمت**».

* ومن هنا تبدأ الابتلاءات وتتحرك المشاعر ومعها الدروس والقواعد، ففى دائرة أقـاربه، ها هم يثورون من أجل أن يعتـذر إلى رسول الله ﷺ ويؤنبونه ويعاتبـونه حتى يقول كعب: «فوالله مـازالوا يؤنِّبونى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذِّب نفـسى». لقد ثار أهل كعب وطلبوا منه الاعتذار، ولكن صاحب الدعوة الصادق لا يعبأ بثورة الناس حتى ولو كانت من أجله ولمصلحتـه، مادامت تصطدم بالصدق مع نفسه، فـلا يعبأ بتأنيـبهم أو عـتابهم، أو دفعـه للتراجع عن الحق والصـدق الذى ارتضاه لنفسه، حتى لا يقع فريسة تحت مشاعر الحيرة والانتكاس.

ومما يساعـد صاحب الدعوة فى الثبـات على موقفه الاقتـداء والتأسى بالصالحين، وهذا ما دفع كعبًا حـينما علم بأن الناس فعلوا مع صاحباه ما عاتبوه عليه فثبتا، يقول كعب: (ذكروا لى رجلين صالحين قد شهد بدرًا، فيهما أسوة فمضيت، حين ذكروهما لى).

* وفى دائرة المجتـمع يُمتحن كعب، حـينما اجتنبه الناس وتغـيروا له لمدة خمسين يومًا، يقـول: «حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض، فما هى بالأرض التى أعرف»، أما صاحباه فجلسا فى دارهما يبكيان وأما هو فكان يخـرج إلى الناس، ويشهـد الصـلاة، ويطوف فى الأسواق، ولا يكلمـه

أحد، ولك أن تتخيل هذا الألم النفسى الشديد، ولكن كعبًا يعلمنا أن الإنسان الصالح لا يتوقف عن الحركة حتى ولو تنكر له الناس.

* أما جفوة القيادة منه، فقد كان أثرها قاسيًا على مشاعر كعب، ليقرر لنا قاعدة مهمة بأن التعامل الحقيقى بين القيادة والجندية، بين كل مسؤول وتابعيه -فى أى موقع من مواقع العمل سواء كان فى مصنع أو متجر أو شركة أو مدرسة أو أى وحدة- لابد أن يكون وفى كل الأحوال تعامل بالمشاعر والأحاسيس وخطاب بلغة الوجدان لا بلغة اللسان والكلام، وقف معى أيها القارئ الحبيب، وكعب يصف سحر هذه العلاقة القوية الفريدة، يقول:

«وآتى رسول الله فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة، فأقول فى نفسى: هل حرّك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلى معه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلىّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عنى».

* وأما جفوة الأصدقاء والأحباب، فهى قاتلة، خاصة من كانت لك معه مساررة ومحادثة ومكالمة ومكاتمة وأسرار، وغالبًا أنت مع من تحب لا تكبت شعورًا أو تكتم إحساسًا، وتكرر معه المناشدة إذا أعرض عنك لعارض، وتبكى بين يديه، حتى وإن أغلق الأبواب أمامك أتيته بأى وسيلة وبأى أسلوب، حتى لو تسورت السور، وهذا ما فعله كعب مع أبى قتادة، يقول: «وهو ابن عمى وأحب الناس إلىّ، فسلمت عليه، فوالله ما رد علىّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعُدت مناشدته، فسكت، فعدت مناشدته،

فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار»، فربما كان فى البكاء تخفيف على نفس كعب، فبعض المشاكل قد تحل بالتعبير عنها بالمشاعر، وطرحها بالإحساس.

* وفى دائرة الخصوم الذين يتربصون، وينتظرون، ويصبرون حتى تأتى حالة الضعف، فيهاجمون، كالجراثيم التى تهاجم الجسم حال ضعفه، وقلة مناعته، فمن الابتلاءات التى يتعرض لها الداعية إن قابل جفاءً من قيادته أو اختلافًا معها، أن يتصل به الخصوم منتهزين الفرصة، ليكون فى صفهم ظاهريًا، وهم فى الحقيقة يريدون الفتك به، وعلى الداعية أن يكون موقفه واضحًا، مثل كعب بن مالك فيعتبر ذلك امتحانًا واختبارًا وابتلاء من الله، ويقابله بالإيمان والثقة بدعوته، فقد يسقط الكثير أمام المغريات والزينات الزائفة، التى سرعان ما ينكشف القناع فيظهرون على حقيقتهم العدائية، وتأمل معى ماذا يقول كعب: «فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة إذا بنبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع إلىّ كتابًا من ملك غسان -وكنت كاتبًا- فقرأته فإذا فيه: أما بعد.. بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار ذل ولا هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت حين قرأته: وهذا أيضًا من البلاء!! فتأممت التنور فسجرته به».

* وتمتد قساوة الجفوة بكعب بن مالك حتى تصل إلى داخل منزله بل إلى فراشه، فيؤمر باعتزال زوجته، وذلك فى اليوم الأربعين من أيام جفوة الخمسين يومًا، حتى إنه قال لرسول رسول الله ﷺ الذى جاء يبلغه بذلك: «أطلقها أم ماذا أفعل؟» إنها الطعنة فى قلبه، بل فى سويداء قلبه فى حبه لزوجته، السكن له، والعش الآمن، والرحمة والمودة، ومن خلال هذه

المشـاعر اتخـذ كعب قـراره وهو يقول: «فـقلت لامرأتى: الحـقى بأهلك، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر»، ليعلمنا القاعدة الساحرة مهما كان حجم المشاكل فى البيت مع الزوجـة، فعلى الزوج العاقل أن يتعامل مع زوجته بحب وبرفق ويحافظ عليها كالجوهرة الغـالية الرقيقة، فسرعان ما تمر الأزمات ويبقى الحب والود والرفق، وحسبه أن يقتنى الجوهرة الثمينة.

وتأتى امرأة هلال إلى رسول الله ﷺ وهو أحد صاحبى كعب تستأذن فى خدمة زوجها الشيخ الطاعن فى السن، أى: جـاءت لتحوز استثناء، فسمح لها النبى بخدمته قائلاً: ولكن لا يقربنك؟ فقالت: إنه والله ما به حركة إلى شىء، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا!!

ويمتحن كعب فى حبه لزوجته، حينما يأتى بعض أهله إليه قائلين: لو استأذنت رسـول الله ﷺ فى امرأتك!! يقول كعب: «فـقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدرينى ماذا يقول لى وأنا رجل شاب».

وينجح كـعب، وكان ذلك بعـد أربعين يومًـا، ويصنع لنا قاعـدة تريح مشـاعر الناس جميـعًا، فالنفس تميل إلى الأخـذ بالاستثناء، وتسـتأذن فى طلبه، حـينما تكون هناك مشكلـة عامة، فيـهرع الناس إلى الاستـفادة من الاستـثناء وطلبه، ومما يشجـعهم على ذلك إنْ نال البـعض استثناءً، غـير متعقلين أن النظر الحقيقى ليس فـى الاستثناء وإنما فى دواعيه وأسبابه، فكل استثناء له ظروفه الخاصة، والتى تختلف من إنسان لآخر، وعلى العاقل أن ينظر أولاً إلى الدواعى حتى لا يُردّ فى طلب، أو لا يؤذن له فـى استثناء، فتُحرج مشاعره، وتتأثر بالحزن والإحباط، وكان الأولى به أن يعيش مطمئن الجنان، ساكن الوجدان، ويحافظ على مشاعره بمنأى من الإحباط والحزن.

*** وأصبح كعب يحسب الأيام منذ الأربعين لشدة معاناته بالابتعاد عن** زوجته فيقول: «فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى النبى عن كلامنا» وبهذا التحديد اشتدت عليه الصعاب، واستحكمت الحلقات، فكان من شأنه أن يلجأ إلى ربه، وهذه قاعدة أخرى ليحتفظ كعب بجزء من مشاعر الطمأنينة وسط هذه الانفعالات، وذلك فى الطاعة والإقبال على ربه والعبادة والتذلل له والخضوع بين يديه والاستعانة به، فإلى من نلجأ إذا حاصرتنا الأزمات إلا إلى الله؟! فهو وحده الذى بيده تسهيل الصعاب وإزابة المشكلات والأزمات، وخيرًا فعل كعب؛ فالله لا يضيع عباده أبدًا، لتكون القاعدة العظيمة إلى يوم الدين والتى تقول: إذا اشتد الضيق جاء الفرج، وعند استحكام العسر يظهر اليسر، ومن وجوه الشدائد تأتى الحلول، وانتظار الفرج من الفرج، والثقة فى تحقق الفرج مهما طال الأمد واجب أهل المصائب، واستصحاب الفرج لصاحبه تخفيف وتذليل وأمان وطمأنينة واطمئنان، وأترك كعب يروى ذلك يقول: «صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله منَّا قد ضاقت علىَّ نفسى وضاقت علىّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوْفى على جبل سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر! فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج!!..».

*** البشارة والمبادرة بها والسبق بتبليغها لأصحابها من شيم ذوى المشاعر الرقيقة**، وتعبير عن أحاسيس دفينة من الفرح والحب والمشاركة وتحمل الآلام لأصحابها، وأقل ذلك ألا يحرم العاقل نفسه من أن يكون من أفواج المهنئين إن لم يكن من السابقين والمبادرين بالبشارة، وعليه أن يختار من العبارات ما هو معروف بالسحر فى النفوس، وينتقى أجمل العبارات

المعبرة عن مشاعره، هنالك يكون الأثر قوياً وممتداً، وأترك مشاعر كعب تعبر عن تأثره بمبادرة المهنئين وأثرها في نفسه، وكيف عبر عن هذا التأثر بشكل غريب وعجيب وصادق ولكنه جاء تلقائياً ومؤثراً، يقول كعب:

«وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا» ثم يقول: «وسعى ساعٍ من أسلم قبلي، وأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبيّ فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة ويقولون: «لِتَهْنِكَ توبة الله عليك».

*** إذا أردت بالفعل أن تكون في بؤرة مشاعر الآخرين، ولا ينسون لك أبداً عملك وتأثيرك في مشاعرهم فلا تكتم مشاعرك وبادر بإظهارها،** ولا تكتم أي تعبير عنها، فهرول وأسرع وصافح وعانق وشارك، هنالك لا ينساها لك الناس، وهذه القاعدة رأيناها في هذا المشهد المؤثر والذي يرويه كعب، يقول: «حتى إذا دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام من المهاجرين غيره -فكان كعب لا ينساها لطلحة-.

*** وإن تنوعت أشكال التعبير عن المشاعر ووسائل التأثير في مشاعرهم، فإن المشاركة لها أساس تقوم عليه، وهي أن تعبر للناس وتظهر لهم المكنون في مشاعرهم** من ابتهاج وفرح وسرور وسعادة أو حزن وضيق وَهَمّ، وليس في التعبير عن مشاعرنا نحن، ولذلك المخاطبة لا بد أن تكون على قدر مشاعر الآخرين، هنالك يكون التأثير عندما نسبح في مشاعرهم ونذوب في

عواطفهم متناسين تمامًا ما نحس به أو نشعر به، حتى لا نصطدم مع ما يشعرون به، ولا ننجح في ذلك إلا بالصدق في التعبير والإخلاص في المخاطبة، وهذا ما رآه كعب في وجه رسول الله ﷺ وهو يبرق من السرور، يروي كعب ذلك: «فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: **أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك!** فقلت: أمن عندك يا رسول الله، أمن من عند الله؟ قال: **لا بل من عند الله!** وكان رسول الله إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه».

فلم يكن سرور النبي ﷺ لأمر خاص به، بل عبّر صادقًا عن فرحته وسروره بتوبة الله على كعب وخاطبه بوجه يبرق من السرور، فتربع على مشاعر كعب التي امتلأت بالبهجة والسعادة والسرور.

* **وأخيرًا يقرر كعب قاعدة أخيرة يختم بها قصته الواقعية والتي عاشها بمشاعره ونقلها إلينا بإحساسه وعواطفه،** بأنه لم يقف عند مشاعر الفرحة بالتوبة وتهنئة المهنئين وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، فيقنع بذلك أو يستأنس ويرضى بذلك، وإنما حوَّل هذه المشاعر إلى ممارسة وعمل، فكان من ثمرات التوبة أن يتصدق بجزء من ماله، وكان أيضًا من ثمرات التوبة الاستمرار في الصدق ما بقي حيًا، فيقول كعب: «فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: **أمسك بعض مالك فهو خير لك**، فقلت: إني أمسك بسهمي الذي بخيبر». ثم يقول: «وقلت: يا رسول الله، إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت».

ومن هنا كانت القاعدة التي تقول: ليس المهم في أن نعيش بمشاعرنا السعيدة، فنفرح ونبتهج، ونعتبر ذلك نهاية المطاف، وإنما في الحقيقة بعد

ابتهاجنا نكون قد بدأنا فى وضع أقـدامنا على أول الطريق، فالإيجابية أن تتحول هذه المشاعر إلى واقع عملى وليس عـاطفة وإحساس فقط، فلا بد أن نسأل أنفسنا دائمًا، ماذا بعد هذه المشاعر؟ والإجابة: حينما تتحول إلى عمل وممارسة فهى إذًا الثمرة المرجوة والنتيجة المطلوبة.

* ونترك كعب يروى لـنا هذه القواعد للمشاعـر المؤثرة فى قوله: «وإنى أرجـو أن يحفظنـى الله فيـما بقـى» فأنزل الله تعـالى: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...**﴾ [التوبة: ١١٧]. حتى بلغ قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١١٨].

إلى قوله تـعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

هذه موعظة كعب بن مالك قبل أن يغادرنا، وهذا هو التعقيب القرآنى إلى يوم الدين، وصدق رسـول الله ﷺ فى قوله لأعرابى «**كن صادقًا وما عليك**» فالفوز كل الفوز من باب الصدق يبـدأ، وبه تحوز مشاعر الآخرين وتملك عواطفهم.

مختصر

قواعد المشاعر المؤثرة «الثلاثون»

١- الحياة تحـتاج إلى الحركة وتقديم التـضحيات، والتخلف الحـقيقى فى التخلف عن ذلك.

٢- التوانى أو التكاسل إما لعذر أو رخصة أو عمل يحتمل ذلك، حيث لا عتاب ولا لوم.

٣- الاعتراف لأهل السبق بسبقهم وخبرتهم وتاريخهم يؤثر فى مشاعرهم.

٤- الصدق مع النفس أو لأبواب الصدق مع الناس ومعاملة مشاعرهم.

٥- أهل العزم يمضون فى طريقهم رغم العقبات والصعاب والشدائد.

٦- عند الشدائد لا بد من وضوح الرؤية والمصارحة للتأهب والاستعداد.

٧- ليس بالإكراه يعمل العاملون، بل يُتركون لقناعاتهم وحماسهم بعد تحفيزهم.

٨- العاقل يحزنه أن يعيش فى مجتمع المتملقين أو الضعفاء أو المنافقين.

٩- تعرف على الناس جيدًا؛ حتى لا تأبه بالأقاويل أو أحكام الناس وكلامهم.

١٠- فى لحظات الضعف استعن بكل ذى رأى من أصدقائك ومعارفك وأهلك لاتخاذ القرار السليم.

١١- من علامات النجاح الثبات على المضى فى تنفيذ القرار السليم ما دام يوافق الصواب.

١٢- إذا أخطأ الإنسان عليه مواجهة قدره من إجراءات ولا يتهرب من الحقيقة.

١٣- قوة الإنسان الصالح فى قول الصواب ولو كان على نفسه.

١٤- من الراحة فى معاملة الآخرين المرونة واللين فى أيديهم دون تلكؤ أو مواربة.

١٥- حتى لا يقع الإنسان فريسة لمشاعر الحيرة والانتكاس لا يعبأ بثورة الناس من أجله أو عتابهم أو دفعه للرجوع عن الصواب الذى ارتضاه لنفسه.

١٦- مما يساعد الإنسان فى الثبات على موقفه الصائب أن يتأسى بالصالحين.

١٧- إن تغير الناس منك وضاقت الأرض بك فعليك السكون والصبر حتى تنتهى الأزمة بخير.

١٨- مهما تنكر لك الناس فلا تقطع أبدًا حركتك فى المجتمع بذاتيتك وإيجابيتك.

١٩- أساس التعامل فى كل الأحوال بالمشاعر والأحاسيس، ولغة الخطاب الحقيقى هو الذى ينفذ إلى الشعور.

٢٠- عندما تطول الأزمات اذهب إلى أحب الناس إليك ولا تكتم عنه مشاعرك؛ فقد يخفف ذلك من طول الأزمة.

٢١- عند الجفاء أو الاختلاف لا تجعل الخصوم ينتهزون الفرصة للوقيعة بضمك إلى صفهم أو بتقديم المغريات.

٢٢- مهما كان حجم المشاكل مع الزوجة يجب معاملتها بالحب والرفق فسرعان ما تمر الأزمات وتبقى المودة.

٢٣- لكل استثناء دواعيه، فانظر فى دواعيك قبل أن تطلب الاستثناء حتى لا تقابل بالرفض فتجرح مشاعرك.

٢٤- عند مشاعر الضيق على العاقل الإكثار من الطاعات واللجوء إلى الله فبيده وحده إزابة الأزمات.

٢٥- من داخل الشدائد تأتى الحلول، وانتظار الفرج من الفرج، ومهما طال الأمد فالثقة فى ذلك يجب أن تكون عميقة.

٢٦- التعبير عن مشاعرك يكون أثره قويًا فى المبادرة بالبشارة للناس وتهنئتهم بأجمل عبارات التهانى الساحرة.

٢٧- لا تكتم مشاعرك وبادر بها، ولا تكتم أى تعبير من هرولة أو مصافحة أو عناق أو تهنئة أو مشاركة؛ فبذلك لا ينساك أحد.

٢٨- المشاركة الشعورية تعنى أن تخاطب الناس بما فى مشاعرهم هم وليس بما فى مشاعرك أنت، ونجاح ذلك فى الصدق.

٢٩- ليست مشاعرك المبتهجة أو غيرها هى نهاية المطاف، وإنما هى أول الطريق فى أن تتحول إلى عمل إيجابى وممارسة مثمرة.

٣٠- حوز مشاعر الآخرين والتأثير فيها يبدأ من باب الصدق فكن صادقًا وما عليك.

* * *

تم بحمد الله

الفهرس

رابعًا: بيت المشاعر

خامسًا: كيف تكون دائمًا في بؤرة شعور الناس؟

سادسًا: مشاعر قرآنية:

ثانيًا: مشاعر المحبوسين:

سابعًا: قواعد المشاعر المؤثرة:

كتب للمؤلف

١- الدعوة المؤثرة- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٢- القيادة المؤثرة- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣- المشاعر المؤثرة- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٤- فقه النفوس- دار المدائن.
٥- فقه القلوب- دار المدائن.
٦- فقه السالكين- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٧- دليل المسافر- دار المدائن.
٨- الجنة والنار رأى العين- دار المدائن.
٩- الغزوات فى ظلال القرآن- دار المدائن.
١٠- العراق إلى أين؟- دار المدائن.
١١- فلسطين تحت الحصار- دار المدائن.
١٢- ورد القلوب شرح ورد الرابطة- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٣- الحب روح الحياة الزوجية- دار المدائن.
١٤- حياة القلوب- دار المدائن.
١٥- حياة الأرواح- دار المدائن.
١٦- أيام وليالى رمضان- دار المدائن.

الاتصال بالمؤلف: محمول: ٠١٢/٣٢١٧١٤٥.
بريد إلكترونى Gmady@Hotmait.com
Gmady 2004 @ Yahoo.com